

بقلم : فخرى كرم


أحاديث
من
القلب
بقلم : قدرى كرم

كيف تقرأ؟!

"وإذا ناموسيٌ قام يجربه قائلاً: يا معلم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوب في الناموس؟ كيف تقرأ؟!" (لو ١٠: ٢٥، ٢٦)

أحياناً لا يكون السؤال هو: ماذا تقرأ؟ أو كم تقرأ؟ بل... كيف تقرأ؟!

عندما يسأل ناموسيٌ، قد تعمّق في دراسة الناموس، عن الطريق إلى الحياة الأبدية فلابد أن هناك خللاً ما في أسلوب قراءته للناموس!! فغاية كلمة الله هي توضيح الطريق إلى الحياة الأبدية، وكل مَنْ يقرأ الكلمة بإخلاص لابد أن يجد فيها طريقه إلى الله. لكن المأساة هي أن الإنسان قد يقرأ الكلمة بأسلوب خاطئ، يجعله عاجزاً عن رؤية الحقائق الواضحة فيها.

وهذا ما كشفه الرب عندما أجابه بأن الطريق إلى الحياة الأبدية واضح في الناموس ولا يحتاج إلى سؤال، فيقول الكتاب: «**وأما هو فإذ أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع**: ومَنْ هو قريبي؟» هذا الناموسي كان يقرأ الناموس «لكي يبرر نفسه»!! إنه يبحث في كلمة الله عن وصايا وفرائض وأقوال تريح ضميره، إنه لا يضع ضميره تحت سلطان المكتوب بل يضع المكتوب تحت سلطان ضميره، يقبل ما يريح ضميره ويبرره ويدّعي عدم الفهم لما يدينه ويتعبه!! إنه لا يخدم المكتوب بل يحاول أن يجعل المكتوب يخدمه!! **ومثل هؤلاء تبقى الكلمة بالنسبة لهم مغلقة لا تبوح لهم بأسرارها ولا تفتح لهم كنوزها ولا تُشرق عليهم بنورها!!**

وأمثال هذا الأسلوب الخاطئ كثيرة في أيامنا هذه، فالبعض يقرأون الكلمة لكي يستخدموها لمصلحتهم، لكي يثبتوا عقائد كنيستهم التي آمنوا بها مسبقاً قبل أن يعرفوا رأي الكتاب فيها، أو لكي يدحضوا عقائد الكنائس الأخرى التي رفضوها مسبقاً أيضاً!! وآخرون يبحثون عن وعود وكلمات تشجيع يستريحون عليها ويدّعمون بها مواقفهم حتى وإن كانت هذه الكلمات الإلهية لا تنطبق عليهم بتاتاً!! **والذهن البشري المراوغ قادر على أن يجد أي موضوع يريده في أي جزء كتابي أمامه حتى وإن كان هذا الجزء لا يمتّ للموضوع بأي صلة، وقادر أيضاً أن يتنصّل من أي موضوع لا يريده مهما كان واضحاً في الجزء الكتابي الذي أمامه!!**

آخرون يقرأون الكلمة بأذهان منتفخة وروح ناقدة، إنهم لا يبحثون فيها عن شخص الله أو الطريق للوصول إليه، بل عندما يقرأونها يكون هدفهم هو تحصيل المعرفة الذهنية المجرّدة أو وضع الكلمة تحت فحص أذهانهم ونقدها!! هؤلاء تظل الكلمة مغلقة أمامهم لا يرون فيها إلا أحداثاً بلا رابط، وإذا أسلمهم الله لبُطل ذهنهم سيجدون فيها ما ينتقدونه ويشككون فيه، ويقودهم ذهنهم الباطل لكي يرفضوا الكلمة ويرفضوا معها الحياة!!

آخرون عندما يتناولون الكتاب يكون هدفهم هو أن يجدوا فيه دراسة مُشبعة للذهن وملفتة للانتباه ويستخرجوا منه تأملات جديدة يعظون بها شعبهم، فتراهم يمعنون في البحث عن معاني الأسماء وتطبيق الرموز وكثيراً ما يحملون الكلمات فوق ما تحتمله لكي يثبتوا أنهم دارسون مبدعون ومجدّدون، **والمحزن في الأمر أن المعنى البسيط الواضح للكلمات يظل غائباً عن نظرهم!!** وتتوه أقدامهم عن الطريق البسيط العملي إلى الله، وإذا نظرت لحياتهم الشخصية لوجدتهم لا يتبعون خطوات السيد، هل تعرف لماذا؟ لأنهم لم يقرأوا الكتاب لكي يجدوا الله لأنفسهم بل لكي يستخرجوا منه ما يشبع أذهانهم وأذهان سامعيهم، إنهم مثل الفريسيين الذين برعوا جداً في دراسة الكتاب وحفظوا أقواله وأحصوا حروفه ولكن قلوبهم ظلت بعيدة كل البعد عن صاحب الكتاب، وانحرفت أقدامهم عن الطريق إليه وهم لا يدرون!!

لكن هناك مَنْ يقرأ الكتاب بقلب مفتوح وذهن خاضع وضمير متيقظ، يريد أن يعرف إرادة الله لنفسه أولاً، لا يريد أن يبرر نفسه بل يخضع ضميره لحكم الله مهما كان، إنه يبحث في دروب الكلمة عن آثار خطوات السيد لكي يضع قدميه فيها!! إنه لا يقرأ أحداثاً بعيدة عنه بل تخصه، لأنه يؤمن أن إله الكتاب هو إله اليوم وغداً. **إنه يضع ضميره تحت الكتاب وليس العكس ويُخضع ذهنه لفحص الكلمة وليس العكس، إنه لا يصدر حكماً على الكلمة بل يقف بخشوع أمام الكلمة لكي تصدر عليه حكمها!!**

والعجيب إن كلمة الله الحية لا تمنع عن الإنسان ما يريده!! مَنْ يقرأ لكي يبرر نفسه، سيجد ما يبرر به نفسه ومَنْ يقرأ لكي ينقد سيجد ما ينقده، **ومَنْ يقرأ لكي يستخرج تأملات فسيجد منها الكثير، ولكن كل هؤلاء سيظلون محرومين من جوهر الكلمة ألا وهو** الحياة الأبدية، وستقودهم أذهانهم إلى التهلكة!! أما مَنْ يقرأ الكلمة لكي يجد الله فسوف يجده لنفسه، وستفتح له الكلمة باباً لا يستطيع أحد أن يُغلقه، وسترافقه في الطريق يوماً فيوماً حتى تصل به إلى معرفة الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذي أرسله، تلك المعرفة التي هي الحياة الأبدية.

أخي العزيز، كيف تقرأ كلمة الله؟!

الصلاة باسم يسوع

(١)

« ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله » (يو ١٤ :١٣)

واحد من اعظم الأسرار التى يحتاج المؤمن ان يتعلمها هو سر الصلاة باسم الرب يسوع ، وهذا واضح فى العديد من اقوال الرب (يو ١٤ :١٣ ، ١٤ ، يو ١٥ :١٦ ، يو ١٦ :٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦) لكن ما هو المقصود بالصلاة باسم يسوع ؟ سنحاول ان نجيب عن هذا السؤال فى سبع نقاط :

الصـــلاة باسم يسوع
تعنى الاتحـــاد بالمسيح

بحسب الكتاب نعرف ان المؤمن بعد يوم الخمسين هو واحد مع الرب المقـــام (١ كو ٦ :١٧ ، ١ كو ١٢ :١٣ ، أف ١ :٢٢ ، ٢٣ ، أف ٤ :١٣) لذلك فالمؤمن يحق له ان يستخدم اسم المسيح المقام فى صلاته ، لاننا بواسطة الفداء اصبحنا اعضاء جسد المسيح ، وهذا يعطينا الحق ان نستخدم اسمه لان الاسم يخص الجسد كما يخص الرأس .

يقول الرب فى (يو ١٥ :٧) « ان ثبتم فى وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم » اذا وضعنا هـــذا القول الى جانب القول الموجود فى صدر هذه المقالة لاستنتجنا على الفور ان الصلاة باسم يسوع هى صلاة هؤلاء الثابتين فى المسيح ، ان ثباتنا فى المسيح هـــو الذى يمكننا من الصلاة باسم يسوع .

فى (يو ١٥) يتحدث الـــرب عن الكرمة والأغصان ، أى عن اتحادنا العضوى مع مخلصنا الحى ، وهو نفس الحق الذى تكلم عنه بولس فيما بعد باستخدام مثال الراس والجسد ، ان المسيح وكنيسته وحدة عضوية واحدة **ذات حياة مقامة من الأموات ، والصلاة باسم يسوع هى الصلاة باعتبارنا اعضاء جسد المسيح ، انها صلاتنا للآب باعتبارنا امتدادا للابن وشركاء فى اسمه الذى هو فوق كل اسم .**

كم هو عجيب اننا بالفداء يمكننا ان نتعامل مع الآب باعتبارنا امتدادا حقيقيا للابن الوحيد يسوع ، ياللنعمة الغنية !! عندما ننحنى للصلاة ينبغى أن نفعل هذا بادراك خاشع لكوننا اعضـــاء جسد المسيح ، اعضاء الكنيسة الواحدة التى هى ملء (كمال !!) الذى يملأ الكل فى الكل (أف ١ :٢٢ ، ٢٣) .

« هديسون تيلور » كتب مرة عن هذا الموضوع الى شقيقته قائلا « اختى العزيزة ، انه شىء عظيم حقا ان نكون واحدا مع مخلص مقام وممجد ، أن نكون أعضاء المسيح ، فكرى فيما يعنيه هذا !! هل يمكن ان يكون المسيح غنيا واكون انا فقيرا ؟ ! هل يمكن ان تكون يدك اليمنى غنية واليد اليسرى فقيرة ؟ ! هل يمكن أن يتغذى الرأس جيدا بينما يظل الجسد صائما ؟ ! »

« مرة أخرى فكرى فيما يعنيه هذا بالنسبة للصلاة ، هل يمكن ان يقول موظف البنك للعميل « انما يدك التى كتبت هذا الشيك وليس أنت » ؟ ! او هل يمكن أن يقول « انا أستطيع أن اعطى هـــذا المبلغ لك أنت ولكن ليس ليدك » ؟ ! وبالمثل نقول هل يمكن ان يحتقر الله صلاتى او صلاتك اذا قدمناها باسم يسوع ؟ كلا ، بل بكل تأكيد يقبلها ، ليس لأجلنا نحن بـــل فقط لأننا اعضاء المسيح من لحمه ومن دمه ، كلما حفظنا انفسنا فى نطاق اسم المسيح انفتحت امامنا آفاق رحبية من الاستجابة غير المحدودة .

الصـــلاة باسم يســـوع
صلاة تخضع لملك المسيح

من الواضح اننا عندما نصلى كأعضاء فى جسد المسيح فاننا نصلى تحت رئاسته ، ان الثبات فيه يعنى بالضرورة الخضوع له لأنه هو رأس الجسد ، اننا لا نستطيع ان نقول اننا ثابتون فيه اذا لم يكن هناك خضوع لملكه فى كل تفاصيل حياتنا ، وانه من الغباء الفاحش ان ندعى اننا أعضاء جسده اذا كنا نتحاشى الخضوع لسلطانه فى أية منطقة من حياتنا ، لأن الجسد وكل عضو فيه ليس لهم علاقة مع الراس سوى علاقة الخضوع الكامل والطاعة الاختيارية .

الصلاة باسم يسوع ممكنة فقط لهؤلاء الذين قبلوا سيادة وملك الرب المقام ، هؤلاء الذين يسجدون كل يوم فى خضوع تام وفرح عميق أمام العرش الذى يجلس عليه الرب الملك ويطيعونه فى كل أمور حياتهم .

ورئاسة المسيح تنقى صلاتنا ، لأنه لو كان المسيح يسيطر على كل **حياتنا فهو بالتأكيد سيسيطر أيضا على صلواتنا ، لذلك فالشخص الذى يخضع لملك المسيح لن تجده ابدا يرفع صلوات ساذجة او طلبات انانية .**

كما أن رئاسة المسيح تبث الايمان واليقين فى هؤلاء الذين قبلوا رئاسته واختبروها فى حياتهم ، لأننا لو ثبتنا فيه وخضعنا له فسيكون لنا اليقين بأنه راس فوق كل شىء للكنيسة التى هى جسده (أف ١ :٢٢ ، ٢٣) وعندما ندرك تماما أن المسيح رأسنا هو فى نفس الوقت رأس لكل شىء ، لكل الخليقة ، عندئذ سنكتسب الايمان ولن يكون هناك مستحيل أمام صلواتنا

الصلاة باسم يسوع

(٢)

ان خضوعنا لسيادة الرب علينا سيكون ظاهرا فى صلواتنا ، ويمكن رؤيته فى كل طلبة نرفعها أمام عرشه ، الثقة والهدوء اللذان يغلفان صلواتنا سيشهدان بأننا بالحقيقة أعضاء جسده المنقادون دائما برياسته ، وكل شيء فى صلواتنا سيكون بنظام وبحسب ترتيب ، نظام وترتيب الجسد الواحد ، ولسنا بحاجة لأن نقول ان هـذه كلها ليست صفات نحاول أن نكتسبها ونظهرها فى صلواتنا ، بل هى التعبيرات التلقائية لحياة تخضع لسيادة المسيح .

وايضا خضوعنا لسيادة المسيح سوف يظهر فى الروح التى نقبل بها استجابة الله لصلواتنا ، لأننا كما نخضع لسيادة المسيح فى سؤالنا ينبغى ايضا أن نخضع فى قبولنا للاجابة ، فلن ننفق عطايا الله فى شهواتنا (يع ٣:٤) بل بينما نقبل استجابة الله لصلواتنا سيكون لسان حالنا : « نعم ، ان كل شيء لنا لأننا نحن للمسيح » . اننا نأخذ كل شيء بغنى ليس لأجلنا نحن بل لأجله هو ، رأسنا المبارك ، ان كل ما نأخذه من الله انما هو فى الحقيقة مقدم للمسيح ، ولن ننال منه اى شيء بعيدا عن المسيح .

الصلاة باسم يسوع

صلاة ذات سلطان

سبق ان اشرنا الى ان ذاك الذى هو رأسنا هو فى نفس الوقت « رأس فوق كل شيء » (اف ٢٢:١) ان الله « أجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل ايضا ، وأخضع كل شيء تحت قدميه » .

هذه هى الحقيقة التى يحتاج المؤمن ان يدركها اكثر من اية حقيقة اخرى ، انها جوهر المسيحية الحقيقية الحية ، ان كلمة « المسيح » تعنى حرفيا « الشخص المعين للملك » ، لقد مسح الله ملكه على صهيون جبل قدسه ، وبحسب كل النبوات القديمة أجلس الله مسيحه على عرش الخليقة كلها ، ومن فوق هذا العرش يمارس المسيح سلطانه ، لقد بدأ بالفعل ممارسة هذا السلطان غير المحدود الممنوح له ، ويمد قضيب ملكه فوق كل أعدائه .

لقد ارتبطنا بهذا المسيح الملك ، بفداء الله اصبح هو رأسنا ، واصبح من حقنا ان نحمل اسمه ونشاركه عمله وسلطانه ! اننا ضروريون للملك

الجالس على العرش تماما مثلما الجسد ضرورى للرأس ، هكذا صنعت نعمة الله اللامتناهية .

عندما تنبأ الأنبياء عنه كانوا يتنبأون عنا ! وعندما مسحه الله مسحنا نحن أيضا ! وعندما يملك نملك أيضا معه ، هـذا الحق أساسى وخطير وينبغى أن نقبله بكل الخشوع والتواضع ، لأن الله يضع أمامنا هذا الحق باستمرار فى كلمته المقدسة (انظر رو ١٧:٥ ، ١كو ٨:٤ ، ١بط ٩:٢ ، رؤيا ١ : ٦ ... الخ) .

الصلاة الحقيقية فى اسم يسوع ينبغى أن تشتمل على عنصر سلطان المسيح فوق كل أعدائه ، هناك أوقات ينبغى فيها أن نقبل بكل خضوع وتواضع أن نشترك فى سلطان الاسم الذى نحمله وان نمارس بجرأة سلطان المسيح المطلق على مواقف معينة نتعرض لها .

ان الله يقبل منا الصلاة بسلطان المسيح باعتبارنا شركاء فى جسد المسيح الملك ، وهذا السلطان ليس فى الصلاة فقط بل هو بالحرى أسلوب حياة ، ينبغى أن نمارس سلطان المسيح فى حياتنا اليومية ان كنا نريد أن نمارسه بنجاح فى صلواتنا ، بل ان سلطان المسيح ينبغى أن يكون ظاهرا بتلقائية فى كل حياتنا حتى بدون أن نشعر به ، لأن البر الذى كسانا به المسيح له تأثير ملكى وسلطان على النفوس المحيطة بنا ، لأن البر والاستقامة هما قضيب ملك المسيح (عب ٩،٨:١)، وكلما مارسنا البر والاستقامة كلما ظهر فينا سلطان المسيح على الظروف المحيطة وتأثيره على النفوس المحيطة حتى بدون أن نشعر نحن به .

فقط عندما نكون « فى المسيح » وخاضعين بالكامل « تحت المسيح » سيكون لنا السلطان أن نخضع كل أعدائه تحت قدميه ، دعونا الا نبدأ التفكير فى كيفية استخدام سلطان المسيح فوق القوى الروحية المحيطة بنا قبل أن نتأكد أننا قد خضعنا بالكامل فى كل تفاصيل حياتنا تحت هـذا السلطان ، ان سلطان المسيح ينبغى أن يسود علينا قبل أن يسود على الآخرين ، وهؤلاء الذين « تحت » سلطان المسيح هم فقط الذين لهم سلطان المسيح ، أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا وأفكارنا وعواطفنا وارادتنا وصداقاتنا وطموحاتنا ودوافعنا ، كل شيء فينا ينبغى أن يخضع بالكامل تحت سلطان المسيح ، سلطان البر والاستقامة ، قبل أن تكون صلواتنا ذات سلطان ، بل نفس سلطان المسيح على كل أعدائه .

ليت كل واحد ينتبه جيدا لهذا الحق لئلا نكرر مأساة أولاد «سكاوا» (اع ١٦:١٩) . لنتحد أولا بالمسيح ونخضع بالكامل لسلطانه على حياتنا ثم نشاركه سلطانه على أعدائه .

الصلاة باسم يسوع
(٣)

قلنا ان الصلاة باسم يسوع تعنى الاتحاد مع المسيح والثبات فى شخصه ، كما تعنى بالضرورة الخضوع الكامل لسلطانه على كل الحياة ؛ ثم تعنى ثالثا المشاركة فى ممارسة سلطانه المطلق على كل أعدائه ، والآن نقول رابعا :

الصلاة باسم يسوع
هى صلاة الجسد الواحد

عندما نأخذ مكاننا فى المسيح فأننا تلقائيا وحتميا نجد انفسنا فى شركة مع كل القديسين الآخرين الذين هم اعضاء جسد المسيح ، بل اننا نجد انفسنا فى اتحاد حيوى معهم ؛ واتحادنا معهم حقيقة مؤكدة تماما مثل حقيقة اتحادنا مع ذاك الذى هو راس فوق الجميع .

لقد قلنا سابقا اننا نصير شركاء اسم المسيح فقط اذا كنا خاضعين تحت رئاسته ؛ والآن نقول بالمثل اننا نشترك فى هذا الاسم المجيد فقط اذا كنا فى شركة حقيقية مع كل القديسين ، اى اننا نستطيع ان نستخدم اسم يسوع فى صلاتنا فقط اذا كنا نعترف علنا ونعيش سلوكا فى ضوء وحدتنا العضوية مع كل شعب الرب .

هذا أمر فى غاية الاهمية ، اننا جميعا نتفق على اننا اذا ابتعدنا عن الراس نكون غير مستحقين للصلاة باسمه ؛ ولكننا الآن نضيف هذا الامر الهام : اننا اذا قطعنا شركتنا لسبب او لآخر مع اى عضو او مجموعة اعضاء فى جسد المسيح فأننا أيضا نكون غير مستحقين للصلاة باسم يسوع ، لاننا نكون قد فقدنا الارضية التى تقوم عليها الصلاة باسم يسوع ، أعنى بها ارضية جسد المسيح الواحد المتحد .

عندما تحدث المسيح عن السلطان الممنوح لهؤلاء الذين يتحدون معا **ويصلون باسمه ، تعمد أن يبدأ كلامه عن هذا الموضوع بالحديث عن** النظام الذى ينبغى أن نتبعه عندما نجد قلوبنا مقسمة تجاه اخوة آخرين ، فقال :« وان اخطأ اليك اخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ؛ ان سمع منك فقد ربحت اخاك . . . وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار ؛ الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الارض

يكون محلولا فى السماء ، واقول لكم ايضا ان اتفق اثنان منكم على الارض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات ، لأنه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ١٥ — ٢٠) .

ومغزى هذه الكلمات واضح ؛ فقط اذا اعترفنا علنا بأخطائنا تجاه الاخوة وصححناها نستطيع عندئذ ان نختبر قوة الصلاة المتحدة فى اسم يسوع ، وفقط اذا ازلنا العوائق بيننا وبين الاخوة يمكننا أن نختبر سلطاننا الممنوح ، أن نربط ونحل على الأرض ما سوف يربط ويحل فى السموات.

الصلاة فى اسم المسيح ينبغى **ان تنطق باسم كل اعضاء جسد المسيح** ولا تستثنى منهم احدا ، انها تستلزم اعترافا قلبيا بوحدتنا التى لا تنفصم مع كل شعب الله ، وهى تتطلب اتحادنا العملى معهم فى المواقف والاعمال.

الصلاة فى اسم المسيح تتميز بروح الاتحاد والاعتماد ليس فقط على الراس بل ايضا على المؤمنين شركائنا ، ان روح الاستقلالية ليس لها مكان فى هذه الصلاة ؛ ان كل أفكار الانعزالية والاستقلالية ينبغى أن يحل محلها أفكار الاتحاد والشركة والاعتماد المتبادل .

ايضا الصلاة فى اسم المسيح **تتميز بروح الخضوع الحقيقى لشعب** الرب . او كما يقول الرسول :« خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله » (اف ٥:٢١). وبأكثر تحديد الخضوع لهؤلاء الذين وضعهم الرب فى مركز اعلى منا فى الجسد ؛ والخضوع بكل اتضاع للنظام الذى وضعه الله لبيته ؛ وفى هذا يقول الرسول :« كى تخضعوا انتم ايضا لمثل هؤلاء وكل من يعمل معهم ويتعب » (١كو ١٦:١٦) وايضا :« كذلك ايها الاحداث اخضعوا للشيوخ وكونوا جميعا خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع لان الله يقاوم المستكبرين واما المتواضعون فيعطيهم نعمة » (ابط ٥:٥).

آذا صلينا فى ضوء وحدتنا مع كل اعضاء جسد المسيح فلا شك ان صلاتنا ستكون « لا طائفية »؛ لن تكون صلاتنا محدودة بمكان او طائفة او جماعة او حتى دولة ؛ وفوق الكل ستكون بالضرورة صلاة مملوءة حبا لكل شعب الرب ، وهذا ما قاله الرسول يوحنا :« اما من حفظ كلمته فحقا **فى هذا قد تكملت محبة الله ، بهذا نعرف اننا فيه ، من قال انه ثابت فيه** ينبغى انه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو ايضا ، من قال انه فى النور وهو يبغض اخاه فهو الى الآن فى الظلمة » (ايو ٢:٥،٦،٩). وايضا يضيف يوحنا :« ان قال احد انى احب الله وابغض اخاه فهو كاذب ؛ لان من لا يحب اخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ؛ ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب اخاه أيضا » (ايو ٤:٢٠،٢١).

الصلاة باسم يسوع

(٤)

ان الصلاة باسم يسوع تعنى الاتحاد مع المسيح والخضوع الكامل لسلطانه ، وتعنى أيضا المشاركة فى سلطانه على كل اعدائه ، كما انها تشمل كل اعضاء الجسد الواحد ، وخامسا تقول :

الصلاة باسم يسوع

هى صلاة الصليب

نعنى بصلاة الصليب الصلاة التى يقدمها اناس « مصلوبون » !! لاننا حين ناخذ مكاننا فى المسيح فاننا نعلن بهذا موتنا وانفصالنا التام عن طبيعة آدم الساقطة .

ان اخذ مكاننا فى المسيح يعنى بالتحديد ترك مكاننا فى آدم ، ولكى نحتل مركزنا فى الانسان الجديد ينبغى بالضرورة ان نتخلى عن مركزنا فى الانسان العتيق ، وان نثبت فى الانسان الجديد حيث المسيح الكل وفى الكل يعنى ان نخلع الانسان القديم مع اعماله (انظر كو ٣:٩ - ١١ ، اف ٤:٢٢ - ٢٤) هذا ما ينبغى ان نكون عليه عندما نهيىء انفسنا للصلاة باسم يسوع :

نحتاج ان نتيقن بان اعتبارنا « مع » المسيح يعنى حتما اعتبارنا « ضد » آدم ، بأخذ مكاننا « فى المسيح » سواء فى الصلاة او فى اى مجال آخر نكون قد اتحدنا مع الله فى امرين ، أولا : فى تدبيره للحياة الجديدة ، وثانيا : فى رفضه للحياة القديمة وحكمه عليها ؛ اى ان اتحادنا مع المسيح يعنى أمرين بالنسبة لنا : اننا نعلن ان تدبير الله للانسان الجديد هو تدبير مقبول وان رفض الله للانسان العتيق وقضاءه عليه هما رفض وقضاء عادلان.

باتحادنا مع المسيح نحن نعلن اننا نتفق مع الله فى رفضه للانسان العتيق وحكمه عليه ، وما هو حكم الله على الانسان العتيق ؟ انه «الصليب» **بكل تأكيد ، وليس اقل من الصليب يستطيع ان يعبر عن موقف الله تجاه طبيعتنا العتيقة ، لان الرب يسوع قد مات على صليب الجلجثة ليس فقط** كبديل لآدم بل ايضا كممثل له .

عندما ننظر الى الصليب نرى ان كل شىء له علاقة بآدم قد صدر عليه حكم عادل بالموت ، لا يوجد مفر من هذا الحكم ، « الصليب » هو الموقف الالهى والحكم ضد الانسان العتيق الطبيعى بكل اجزائه وبكل طرقه، سواء كانت هذه الطرق فى اعيننا نحن حسنة او سيئة .

ان هذا الموقف الالهى ينبغى أن يكون موقفنا نحن أيضا ، عندما نصلى فى اسم يسوع فاننا نعلن أننا نقف فى جانب الله ونقبل مكاننا فى المسيح المصلوب ، واذا كان الله يدين الانسان العتيق بكل طرقه ويعتبره فاسدا تماما ليس فيه خير ، فينبغى ان يكون هذا هو حكمنا نحن ايضا على هذا الكيان العتيق الساكن فينا ، واذا كان قضاء الله هو « الموت » لهذا الجسد فينبغى أن نقبل هذا الحكم على انفسنا ، واذا كان أصبع الله يشير الى « الصليب » فلابد أن نأخذ مكاننا فوق الصليب طوعا .

يقول الرسول بولس « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات » (غل ٥:٢٤) أى أن هؤلاء الذين هم فى المسيح والذين يحق لهم الصلاة باسمه هم أولئك الذين صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات ، ان طبيعتهم القديمة الموروثة من آدم قد قدمت بالكامل لله لكى يغرس فيها الصليب حتى اعمق جزء منها .

ان كلمة « الجسد » هنا تعنى كل ما ورثناه من آدم ، سواء هذه الصفات السيئة التى نعانى منها او تلك التى نظنها « حسنة » ولا نشكو منها ، اذا كنا نريد أن نصلى فى اسم يسوع فينبغى ان نأخذ موقف الله وهو ان كل « الجسد » مصلوب ، ان ما نظنه « سيئا » أو « حسنا » كليهما قد وضع فى حكم الموت عندما اخذ المسيح مكان آدم فوق الصليب .

ان حكم الله مقدس وعادل ومريح القلب ، ولكى نصلى باسم يسوع ينبغى ان نترك ارض آدم تماما ونقبل حكم الصليب تجاه طبيعتنا القديمة، نقبل رفض الله لكل ما نحتويه وما نمتلكه وما نكتسبه من طبيعتنا القديمة، ونأخذ مكاننا « فى المسيح » كخليقة جديدة وكشركاء فى اسمه العظيم .

ان هؤلاء الذين يصلون فى اسم يسوع لا تكون لهم ثقة فى الجسد ، لقد كتب بولس لاهل فيلبى قائلا انه يفرح ويفتخر فى المسيح يسوع ولا يتكل على الجسد ، وهو يعنى بالجسد موقفه الطبيعى وموقفه الاجتماعى وموقفه الدينى ، وايضا أشار الى الحكمة الطبيعية والقوة الطبيعية والبر الطبيعى (انظر فيلبى ٣) كل هذه الاشياء تنتمى الى « الجسد » ولذلك فبولس لا يتكل عليها ، انه « فى المسيح يسوع ». وفى مركزه المبارك هذا يفرح ويبتهج قلبه ، وفيه ايضا يصلب الجسد .

فقط عندما نقبل حكم الموت ضد كل ما هو من آدم نستطيع عندئذ أن نأخذ مكاننا فى المسيح ، وعندئذ فقط نقبل منه سلطان الصلاة باسمه ، وعندئذ أيضا نستطيع ان نبدأ طريقا من الاعتماد الكلى على قوة الله ، عندئذ سنواجه كل مواقفنا بعدم اتكال على الجسد عالمين انه لا يصدر منه الا كل ما هو مرفوض من الله ، بل نواجه هذه المواقف باتكال كامل على قوة الله التى ستمدنا أولا بأول بكل ما هو طاهر ومقدس و « جديد »، وهكذا نحيا لا « نحن » بل « المسيح » يحيا فينا ، هذا هو طريق الصليب الذى ينبغى أن نسلكه اذا كنا نريد أن نصلى فى اسم يسوع

الصلاة باسم يسوع

(٥)

ذكرنا خمسة شروط أساسية ينبغى ان تتوفر فينا اذا كنا نريد ان نستخدم اسم يسوع بسلطان فى صلواتنا ، واليوم نذكر الشرط السادس :

الصلاة باسم يسوع

هى صلاة الملء بالروح

فى (يوحنا ١٤،١٦) شرح الرب لتلاميذه ان عهدا جديدا سوف يبدا قريبا ، وسيؤثر تأثيرا جوهريا فى حياتهم وصلاتهم ، الا وهو عهد الروح القدس ، واكد الرب فى حديثه على ثلاثة أمور ، الأول هو انفصاله الوشيك عنهم وصعوده الى الآب ، والثانى هو الحدث العظيم الذى يشبع هذا الصعود اى نزول الروح القدس وحلوله عليهم ، والأمر الثالث كان هو الاتحاد العجيب الذى سينشأ بينه وهو فى السماء وبين تابعيه وهم على الأرض ؛ هذا الاتحاد الذى سيتحقق عمليا بواسطة شخص الروح القدس المبارك .

الروح القدس سيكون هو الرابط الأساسى فى هذه الوحدة العجيبة. ان الروح الذى يملأ الرأس نفسه سوف ينسكب ليغمر الأعضاء ايضا ، وسوف يجمعهم معا فى وحدة عظيمة مكونا الكنيسة التى تحتوى على ذات حياة المسيح ؛ الحياة الآتية من فوق ، والمسيح الذى كان حتى هذه اللحظة « معهم » سيكون عندئذ « فيهم » وهم سيكونون « فيه »، والجميع معا سيكونون « مسيحا » واحدا ؛ كما يقول الرسول بولس :« لأنه كما ان الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد اذا كانت كثيرة هى جسد واحد **كذلك المسيح ايضا** » (١كو ١٢:١٢).

كان الروح القدس هو طبيعة المرحلة الجديدة التى كانت على وشك البدء ، وهو الذى سيجعل التلاميذ قادرين على تقديم نوعية جديدة من الصلاة لم يعرفوها من قبل :« الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا ، **فى ذلك اليوم تطلبون باسمى ، ولست أقول لكم انى انا اسأل الآب من اجلكم** » (يو ١٦:٢٤،٢٦).

قبل يوم الخمسين لم يكن ممكنا ان يشترك التلاميذ فى هذا الاسم المبارك ، لأن الاتحاد بينهم وبين الرأس لم يكن قد كمل بعد ، والرأس لم يكن قد اخذ مكانه فى السماء بعد ، وروح الحياة لم يكن قد انسكب منه الى تلاميذه بعد ، والكنيسة لم تكن قد ولدت بعد ، والمؤمنون لم يكونوا بعد ملء الذى يملأ الكل فى الكل .

وكان حلول الروح القدس هو وحده القادر على فعل كل هذا ، قدومه الانتصارى من فوق وملؤه العميق ومسحته الفنية لكل عضو فى الكنيسة. استطاع وحده ان يجعل الانسان يختبر معنى الوجود « فى » المسيح . ويعطى للمؤمنين الحق فى الاشتراك فى سلطان اسم يسوع واستخدام هذا الاسم فى صلاتهم .

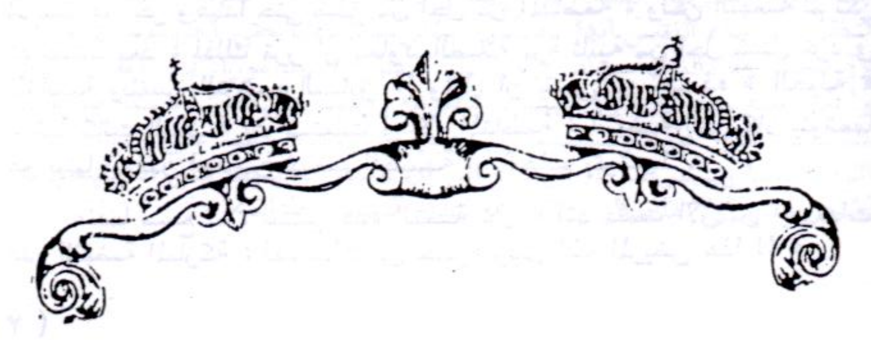
والصلاة فى اسم المسيح لا تصبح اختبارا حيا الا حين نمتلىء ونفيض بالروح القدس ، لأن الصلاة باسم المسيح هى التعبير الطبيعى للحياة الممتلئة والفائضة بالروح القدس ، واستخدام اسم يسوع فى التشفع هو التعبير الطبيعى عن وجود « روح التضرع » بداخلنا (أنظر رو٨:٢٦،٢٧).

ان حق استخدام هذا الاسم المبارك ممنوح فقط لأصحاب الحياة الجديدة ، حياة المسيح المقام ، الحياة التى تحل فى اجسادنا المائتة بواسطة شخص الروح القدس، لذلك فهؤلاء المملوءون بالروح القدس هم فقط الذين يستطيعون الصلاة بسلطان اسم المسيح .

ومن المفيد ان نلاحظ ان الرسول بولس عندما كتب الى اهل افسس علمهم أولا حق اتحادهم بالمسيح ثم اتبع هذا بالأمر المحدد :« لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح » لأنه يعلم انهم بواسطة هذا الملء فقط سيختبرون عمليا القيمة غير المحدودة لهذا الاتحاد العجيب بينهم وبين المسيح ، واكد بولس ان واحدة من النتائج التى سوف تتبع هذا الملء الذى يأمرهم به هى انهم سيكونون قادرين على الشكر فى كل حين على كل شىء ، وسيفعلون هذا « فى اسم ربنا يسوع المسيح » (اف ٥:١٨).

ولهذا فالصلاة باسم يسوع لا تنفصل ابدا عن الصلاة « فى الروح القدس » ولهذا يقول يهوذا :« واما انتم ايها الأحباء فابنوا انفسكم على ايمانكم الأقدس مصلين فى الروح القدس » (يه ٢٠) ويقول بولس :« لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها » (رو ٨:٢٦) وايضا :« مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه » (اف ٦:١٨).

ان الملء الحى بالروح القدس ضرورى للاستخدام الحى لاسم يسوع. والوصية الملزمة « امتلئوا بالروح » هى المفتاح الضرورى للصلاة المؤثرة الفعالة كما انها المفتاح لأشياء أخرى كثيرة :



هل حقاً نريد نهضة ؟

« قد مخضت صهيون بل ولدت بنيها » (اش ٦٦:٨)

النهضة لا تحدث مصادفة . اذا حدثت نهضة فهى لابد ان تكون نتيجة لجهود و « مخاض » شخص ما استطاع أن يحرك القوى الروحية المؤثرة التى صنعت هذه النهضة .

فى احدى الفترات عندما كان د . ليمان بيتشر يخدم فى مقاطعة ليتشفيلد حدثت نهضة روحية مفاجئة ، وكان انسكاب النعمة مباغتا وغير متوقع ، لم تكن هنـــاك اجتماعات انتعاشية ولا خدمات خاصة مثـــل تلك التى تسبق النهضات عادة ، لذلك لم يستطع أحد ان يدرك السبب البشرى الكامن وراء هذه النهضة .

السبب هنـــاك

بعد فترة ذهب د . بيتشر لزيارة رجل مريض يقطن بعيدا فى اطراف تلك المقاطعة ، واثناء الزيارة سأل المريض د . بيتشر عدة أسئلة عن النهضة وعن النفوس التى تجددت بسببها ، وعندما اندهش د . بيتشر من أسئلة الرجل المريض حكى له الرجل هذه القصة :

بينما كان يرقد فى فراش المرض شعر بثقل شديد من اجل النفوس الهالكة وبالأسف الشديد ايضا لأنه يرقد هكذا بلا نفع للنفوس ، وعندئذ قرر انه يستطيع على الأقـــل أن يصلى من أجلهم طالما لا يستطيع ان يزورهم أو يتحدث معهم . وهكذا بدأ يصلى من أجل جاره الأقرب الى منزله ثم من اجل الجار التالى والتالى حتى وصل الى نهاية الشارع !! مصليا من اجل كـــل أسرة وكل فرد على قدر معرفته بهم .

وبعد ذلك تناول شارعا آخر وبدأ يصلى من أجل جميع سكانه بالترتيب . ثم شارعا آخر وهكذا حتى صلى من أجل كل المقاطعة ، ولكن النهضة لم تكن قد حدثت بعد ، **لذلك قرر إن يعاود الصلاة مرة ثانية من أجل كـــل فرد فى المقاطعة وبنفس الترتيب السابق !! وقبل أن ينتهى من هـــذه « الجولة »** الثانية كانت النهضة قد اشتعلت فى كل المقاطعة ، النهضة التى كان يتوقعها هو بينما لم يكن أحد من شعب الكنيسة أو الخادم يتوقعها .

عندما سمع د . بيتشر هذه القصة قال « لقد علمت الآن من أين بدأت هذه النهضة المباركة ؛ لقد بدأت من حجرة رجل الله المريض هذا !! »

يسوع يهتم بالنفوس

ان مخلصنا يهتم جدا بالنفوس ، كان وهو على الأرض بالجسد يعمل بغيرة شديدة لربح النفوس حتى انطبق عليه القول « غيرة بيتك أكلتنى » ؛ كان يستيقظ فى الصباح الباكر لكى يصلى من أجل النفوس ، كان أحيانا يسهر طول الليل فى الجبل يتمخض من أجل خراف بيت اسرائيل الضالة ، هل رأيته وهو يبكى على اورشليم ؟ هل رأيت قطرات العرق والدم تنزف من جبينه تحت وطأة المحبة والمسئولية تجاه النفوس ؟ ان يسوع يتوقع من كنيسته ان تشاركه هذا الاهتمام بالنفوس الهالكة .

والكنيسة ينبغى أن تهتم بالنفوس

الكنيسة هى عروس المسيح ؛ والعروس ينبغى أن تشارك عريسها اهتمامه ومشاعره ؛ ينبغى ان يكون لهما قلب واحـــد وغرض واحد ، لو لم تشارك عروس المسيح عريسها فى اهتمامه بالنفوس فمن يا ترى يشاركه هذا الاهتمام ؟ !

اذا كانت الكنيسة هى عروس المسيح فينبغى ان تقوم بدور الأم الرؤوم لكل ابناء الله ؛ هـــل تستطيع أن تتخيل بشاعة الوضع عندما تضع طفـــلا رضيعا بين ذراعى أم ميتة ؟ ! يالبشاعة !! لكن هذا هو نفس الوضع المتكرر يوميا فيما بيننا عندما تنضم نفوس حديثة الايمان الى كنائس باردة غير مبالية بالنفوس !!

جميع الخدام ذوى الخبرة فى الحقل التبشيرى يعلمون أن اصعب شئ فى النهضة هو تأمين المناخ الروحى الصحى الذى يناسب المؤمنين المتجددين حديثا . المؤمن الحديث يحتاج الى رعاية واهتمـــام وسهر حتى يستطيع أن ينمو نموا سليما ؛ لكى تأتى النهضـــة وتتغير النفوس وتنمـــو نموا مضطردا ينبغى ان تكون هناك مبدئيا كنيسة حية مثقلة بالنفوس وحاملة مع المسيح مسئولية ولادة وتنشئة نفوس جديدة فى ملكوت الله .

احدى الزوجات فى انجلترا قررت أن تصلى من أجل تجديد زوجها كل يوم لمدة عـــام ؛ وفى نهاية العام كان الزوج مازال بعيدا عن الله فقررت أن تواصل الصلاة من أجله لمدة ستة أشهر أخرى ؛ ولكن فى نهاية هذه الفترة ظل زوجها كما هو . فأصابها اليأس وفكرت فى أن تتخلى عنه وتكف عن الصلاة من أجله ؛ لكنها عادت تسأل نفسها كيف يمكن أن تتخلى عن نفس هالكة وضع الله عليها **مسئولية الصلاة من اجلها والاهتمام بها ؟ ! عندئذ قالت « كلا ، لن اتخلى عن هذه النفس ابدا وسأظل اصلى من اجلها حتى آخر يوم فى عمرى »** وفى نفس هذا اليوم عـــاد زوجها من العمل وصعد فورا الى الطابق الاعلى واغلق عليه حجرته ، وفى المساء انتظرته زوجته على العشاء لكنه لم ينزل . فأصابها القلق عليه وصعدت الى حجرته فوجدته جاثيا على ركبتيه أمـــام الله باكيـــا ومسترحما !! **ان النفوس لن تشعر بالتبكيت على الخطيـــة حتى نشعر نحن اولا بالثقل والاهتمام بهذه النفوس الهالكة .**

الخضوع بداية النهضة

النهضة هى سريان حياة الرب يسوع المسيح فى داخل قلب الانسان. ان يسوع دائما منتصر ، لا ينهزم ابدا ولا تنكسر قوته اطلاقا ، واذا كنا فى شركة حقيقية معه فلابد ان تسرى قوته تلك الى داخل قلوبنا وحياتنا وخدمتنا وحياته المنتصرة ستملؤنا وتفيض فينا الى الآخرين ، وهذه هى النهضة فى جوهرها .

الخضوع لمشيئته

ولكن اذا اردنا ان نكون فى شركة حقيقية مع شخصه المبارك ينبغى اول كل شىء أن نتعلم كيف نخضع مشيئتنا لمشيئته هو . ان الخضوع هو بداية انتعاش حياتنا ونهضتها . قد يكون الخضوع مؤلما ومكلفا ، لكنه الطريق الوحيد للانتصار . ببساطة ينبغى أن يكون شعارنا :« لا أحيا انا بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) .

والرب يسوع لا يستطيع ان يحيا فينا بالكامل ويعلن نفسه من خلالنا الا اذا انكسرت الذات المنتصبة فى داخلنا . واننا نقصد بالذات تلك النفس الصلبة غير القابلة للخضوع ، النفس التى تحابى نفسها ، وتطالب دائما بحقوقها وتسعى لمجدها الشخصى . هذه النفس ينبغى أن ترفع انظارها الى مشيئة الله وتعترف بخطأ مسلكها وترفضه وتسعى فى طريق يسوع ، لا تطالب بحقوقها بل بحق الله ولا تسعى لمجدها بل ليكون الرب يسوع هو الكل فى الكل ، وهذا هو ما نسميه « الموت عن الذات » .

ولو نظرنا بامانة الى حياتنا المسيحية لوجدنا الكثير من الذات بداخل كل منا . الذات التى تحاول دائما ان تحيا الحياة المسيحية بمجهودها الشخصى ، **الذات التى تقوم بكل العمل داخل الكنيسة ، الذات التى تملؤنا بالتوتر والقلق والضجر والسخط ، الذات المتصلبة التى ترفض الخضوع للاخرين** ، الذات غير المروضة والتى لا تشعر الا بنفسها ولا تحترم الا فكرها .

لا مفر من الانكسار ، فطالما بقيت الذات غير خاضعة بقى الله غير فاعل بحرية فى حياتنا ، لان ثمار الروح التى يريد الله ان يملأنا بها تضاد تماما ثمار الذات الموجودة بداخلنا .

هل سنقول « نعم يارب » ؟!

ان انكسار الذات والخضوع لمشيئة الله هو عمل الله وعملنا فى آن واحد . الله من جهته يسلط الضوء على المناطق الصلبة فى ذواتنا ، ثم يترك لنا حرية التجاوب مع هذا النور . عندئذ يمكننا ان نصلب اعناقنا ونرفض الاعتراف والتوبة وحينئذ يتألم قلبه ويحزن روحه فينا ، وقد نحنى الرأس ونقول بكل خضوع :« نعم يارب ، لتكن مشيئتك ».

ان الانكسار هو خضوع لفكر الله فى حياتنا اليومية ، وكلما كان فكر الله يصل الينا باستمرار فنحن نحتاج أن يكون خضوعنا مستمرا متواصلا؛ وربما كان هذا مكلفا اذا نظرنا الى كم التنازلات والتضحيات والاعترافات التى قد نضطر لتقديمها .

يسوع خضع لأجلنا

ولهذا السبب لا يمكننا ان ننكسر ونخضع الا عند صليب يسوع . ان خضوع يسوع وقبوله للموت من اجلنا هو الدافع الوحيد القادر أن يجعلنا نخضع نحن ايضا لمشيئة الله فى حياتنا . ان الرب يسوع وهو فى صورة الله اخلى نفسه واخذ صورة عبد ووضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب، نعم ، رغم كونه فى صورة الله عاش عبدا لله وللناس !!

هل تراه وهو لا يطلب لنفسه حقا ؟ لا بيت ولا ممتلكات ، يترك الناس يشتمونه ولا يشتم عوضا ، ولا ينتقم لنفسه بل يخضع ويذهب الى الجلجثة ليكفر عن خطايا الانسان ويحمل فى جسده آثامنا على الخشبة .

بروح النبوة قال كاتب المزمور على لسان الرب « أما انا فدودة لا انسان » (مز ٢٢ : ٦). وعلماء الاحياء يقولون لنا ان هناك فرقا كبيرا بين الحية والدودة ، فعندما تحاول أن تهاجم الحية وتهدد بضربها تجدها تلتف حول نفسها وتبدأ فى الفحيح وتستعد للانقضاض وتقابل الهجوم بهجوم ؛ انها صورة حقيقية للذات !! اما الدودة فعلى النقيض من ذلك لا تبدى اى **مقاومة للهجوم ، انها تسمح لك بأن تفعل بها ما تشاء ، تضربها او تسحقها تحت قدميك اذا شئت ، أليست هذه صورة حقيقية للانكسار ؟!**

لقد خضع الرب يسوع بهذه الصورة من اجلنا ، ولقد فعل هذا لأنه رآنا فى هذه الصورة عينها ، ديدان فقدت كل حق لها بالخطية وصارت فريسة لكل قوى الشر تعبث بها كما تشاء وتسحقها بلا رحمة ، لقد صار دودة من اجلنا لكى يرفعنا معه للمجد !! لذلك لا توجد قوة تجعلنا نخضع له الا رؤيتنا لشخصه وهو يخضع من اجلنا ، فليكن خضوعنا خضوعا مستمرا.

الانسان الذى يستخدمه الله

منذ فترة كنت أتكلم مع أحد التجار المؤمنين وقال لى « الناس تطلب من الله ان يستخدمها فى كرمه . لكن الله للأسف لا يستطيع ان يستخدمهم لأنهم ليسوا ملكا له . ليسوا متضعين ولا قابلين للتعلم ولا طاهرين . هناك كثيرون يأتون الى متجرى لكى يعملوا عندى لكنى لا استطيع ان استخدمهم فى متجرى لأنهم غير ملائمين للعمل . عندما اكون محتاجا لعامل جديد اعلن عن حاجتى لعامل ثم امتحن المتقدمين للعمل لمدة عدة أيام حتى اختار من بينهم الرجل الملائم للعمل الذى سيقوم به ».

ان الله يستخدم الانسان الملائم للعمل فى كرمه ويستخدمه فى حدود امكانياته وامانته ؛ لذلك بدلا من الصلاة الكثيرة من اجل الاستخدام والعمل دعونا نفحص انفسنا : هل نحن مؤهلون للعمل فى كرم الرب؟

الله لا يستخدم اى شخص يتقدم اليه ، كما ان التاجر لا يستطيع ان يستأمن اى انسان على أمواله ومتجره ، انه لا يستطيع ان يستخدم سوى من كان « اناء للكرامة مقدسا نافعا للسيد مستعدا لكل عمل صالح » (٢ تى ٢ : ٢١) .

نعم . ان الله يحتاج الى رجال ونساء كثيرين . وهو يبحث عنهم فى كل مكان . ولكنه ــ مثل صاحبنا التاجر ــ سيجيزهم فى امتحانات كثيرة حتى ينتخب الشخص المناسب العمل الذى سيكلفه به ؛ يقول الكتاب «لأن عينى الرب تجولان فى كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه » (٢ اى ١٦ : ٩) .

ثم يشتاق الرب لاستخدامك !! لكن قبلما تسأله أن يستخدمك اسأل نفسك : هل قلبى كامل نحوه ؟ اذا كانت الاجابة بنعم فيمكنك عندئذ أن تتوقع ان يتشدد الله معك (يظهر قوته فى حياتك).

عندما يبحث الله عن شخص يعمل فى كرمه فانه لا يسأل « هل لديه مواهب طبيعية ؟ هل هو متعلم تعليما عاليا ؟ هل هو مرنم ذو صوت رخيم؟ هل هو بليغ فى صلاته ؟ وهل يستطيع ان يعظ جيدا ؟».

لكن الله يسأل « هل قلبه كامل نحوى ؟ هل هو طاهر ؟ هل يحبنى كثيرا ؟ هل يريد العيش بالايمان أم بالعيان ؟ هل يثق فى قدرتى ثقة كاملة حتى فى وسط الظلام والظروف المعاكسة ؟ هل يخضع ويطيع عندما أحاول

تقويمه وتنقيته واعداده لعمل أعظم ؟ أم سيبكى ويقول مع أيوب « هوذا يقتلنى » ؟ هل يحب كلمتى ويلهج فيها نهارا وليلا لكى يتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيها ؟ هل ينتظر ارشادى وفى كل شىء يطلب قيادة الروح القدس أم أنه يتحرك بفكره وارادته الذاتية فيحتاج الى لجام مثل فرس او بغل ؟ هل يطلب مديحا من الناس ام يطلب المجد الذى من الله وحده ؟ هل يتكلم بالكلمة المناسبة فى الوقت المناسب ؟ هل هو وديع ومتواضع القلب ؟ ».

عندما يجد الله مثل هذا الانسان سوف يستخدمه فورا ؛ ولا شك ان تفاهما كبيرا سيكون بينهما حتى انه سيكون احد « العاملين معه ».

كان بولس واحدا من هؤلاء الرجال الذين استخدمهم الله . وكلما قاوموه ورجموه وحاولوا قتله استخدمه الله أكثر ؛ وفى النهاية وضعوه فى السجن كى يستريحوا منه لكنه كتب يقول بايمان غير متزعزع « لكن كلمة الله لا تقيد » (٢ تى ٢ : ٩) وهكذا ظل يتكلم بكلمة الله ولم يستطع انسان أو شيطان ان يضع اى موانع أمام كلمة الله . بل لقد اخترقت جدران السجن وعبرت البحار والمحيطات ووصلت الى كل البلدان حاملة اخبار الانجيل السارة ، منتصرة على كل رياسة وقوة وسلطان ؛ وحيثما دخلت نشرت النور والسلام والخلاص فى القلوب المظلمة المتعبة الهالكة !! بل انها مازالت تعمل حتى يومنا هذا ؛ رغم انهم قطعوا راس بولس وفعلوا به كل ما ارادوا الا انه مازال نافعا للسيد .

كم سيندهش بولس عندما يحين وقت المجازاة وينال اجرته أمام كرسى المسيح !! سينال اكاليل كثيرة وامجادا ابدية اعظم مما توقع !! لقد راى بولس أياما سوداء . انظر اليه وهو يكتب الى تيموثاوس ويقول « انت تعلم هذا أن جميع الذين فى أسيا ارتدوا عنى » (٢ تى ١ : ١٥) واذا درست سفر الأعمال فسترى كم كانت الضيقات والمفشلات التى واجهها ؛ ومع ذلك لم يفشل بل ظل أمينا للنهاية ؛ لذلك استخدمه الله .

قال يسوع « من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى » (يو ٧ : ٣٨) أيتها النفس الضعيفة الخائفة تشجعى !! يسوع يستطيع أن يستخدمك اذا كان قلبك كاملا نحوه ؛ مهما كانت امكانياتك محدودة وقواك خائرة ؛ لقد وعد أن يملأك بالروح حتى تفيض من بطنك أنهار ماء حى ، أنهار قوة وقداسة لخير العالم كله ؛ حتى انك ستندهش فى وقت المكافأة حين ترى عظمة الأجرة بالمقارنة مع محدودية التضحية التى قدمتها.

الانتظار والعمل

« اما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون اجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون ... لم تر عين الهاً غيرك يصنع لمن ينتظره »
(اش ٤٠:٣١ ، ٦٤:٤)

الآيات السابقة تظهر لنا العلاقة الوطيدة بين « الانتظار » و « العمل » ؛ حيث نرى ان الانتظار يعطى القوة اللازمة لتنفيذ العمل ، انتظار الرب يعدنا لنعمل عمل الله بقوة لا تكل ولا تفشل ، ان قيمة انتظار الرب تكمن فى انه يجعلنا قادرين على القيام بعمل الله ، والله دائما يصنع لمن ينتظره ، ان الانتظار يجعل الله يعمل فينا اولا ، ومن خلال عمله فينا نستطيع ان نقوم بعمله فى العالم .

هذه الآيات الكتابية تعلمنا الدرس العظيم الا وهو ان انتظار الرب هو الاساس لكل عمل حقيقى لله . نحن نحتاج الى كل من الانتظار والعمل ؛ وينبغى ان نسلك فيهما بتوازن وانسجام .

لا يوجد انتظار بلا عمل

هناك من يقولون انهم ينتظرون الرب لكنهم لا يعملون ابدا فى كرمه . وربما كانت هناك عدة اسباب لذلك اولها ان البعض يخلطون بين الانتظار الحقيقى الذى هو حياة ايجابية فى شركة وتوافق مع الله وبين الكسل والانتظار السلبى الذى يعفى صاحبه من اية مسئولية !! وآخرون يعتبرون انتظار الرب هدفا فى حد ذاته وقيمة مسيحية يرغبون فى امتلاكها لتكون اضافة الى تقواهم وصلاحهم . وهؤلاء لا يفهمون أن انتظار الرب فى جوهره هو تقديم انفسنا لله لكى يستخدمنا لخدمة الآخرين وتتميم عمله فى العالم ؛ وليس الهدف هو الانتظار فى حد ذاته . حتى انه اذا لم ينتج عن الانتظار عمل مثمر فى كرم الرب فهو اذا انتظار فارغ بلا قيمة فى حد ذاته !!

وهناك آخرون مستعدون للعمل لكنهم ينتظرون قوى معجزية للروح القدس تمكنهم من فعل اعمال عظيمة . وطالما لم يحصلوا على هذه القوى **المعجزية فهم عاكفون على الانتظار بلا عمل !! وهؤلاء ينسون أن الله يعطى النعمة العظيمة فقط للذى كان أمينا فى النعمة القليلة ؛ انه ينبغى أن نكون** امناء فى فعل كل ما نتعلمه من الروح القدس مهما كان قليلا اذا كنا نريد من الروح ان يقودنا الى الاعظم .

ينبغى على كل المؤمنين ان يعلموا ان الانتظار يحتوى فى جوهره على عمل ، وبالعمل فقط يصبح الانتظار كاملا ومجديا ، وكلما اهتممنا بعمل الله اختبرنا قيمة وبركة انتظار وتجديد القوة .

.. ولا عمل مثمرا بلا انتظار

وعلى الجانب الآخر هناك كثيرون يعملون فى حقل الخدمة لكنهم لا يعلمون الكثير عن انتظار الرب ، لقد انقادوا الى العمل بدافع مشاعر روحية او نفسية او بتكليف من خادم او قس ؛ لذلك تجدهم يمارسون الخدمة **المسيحية بدون إدراك لمدى قدسية هذا العمل ومدى المسئولية التى يتحملها من يريد أن يفعل شيئا لله . انهم لا يعلمون ان عمل الله لا يتم الا بقوة يمنحها الله ؛ ان عمل الله يتم بالله نفسه عاملا فينا .**

ان الخادم لا يستطيع أن يفعل شيئا من نفسه لكنه اذا عاش فى شركة حقيقية مع الله عندئذ يستطيع الله ان يفعل من خلاله كل شئ ؛ لكن هؤلاء الذين لا ينتظرون امام الرب لم يتعلموا بعد هذا الدرس ولا يعلمون أن عمل الله لا يتم الا اذا فعله الله فينا أولا ثم من خلالنا فيما بعد .

اننا ينبغى ان نخضع بكل ضعفنا امام الله وننتظر بايمان حتى يرفعنا فى حينه وتستقر علينا قوته . ان انتظار الرب هو اول واهم شروط الخادم الناجح ؛ والعالم اليوم يعانى بشدة ليس فقط بسبب بعض اعضاء الكنيسة الذين لا يخدمون بل ايضا بسبب اعضائها الذين يخدمون بدون انتظار للرب !!

ارتبط مع الآخرين

بين اعضاء جسد المسيح يوجد تباين وتكامل فى المواهب والاعمال ؛ بعض الذين يلازمون منازلهم بسبب المرض او اى اسباب اخرى يجدون وقتا كافيا للانتظار امام الرب ؛ بينما الآخرون المكلفون بعمل كثير فى حقل الخدمة قد يجدون صعوبة فى ايجاد الوقت الكافى للانتظار امام الرب ؛ وهذان الفريقان ينبغى ان يكملا نقص بعضهما البعض .

اولئك الذين يملكون الوقت للانتظار ينبغى ان يرتبطوا باخوتهم الذين يعملون فى كرم الرب . وينبغى ان يعلموا أن نتيجة انتظارهم ستكون قوة للعمل يتمتع بها اخوتهم العاملون فى الكرم . وهؤلاء الذين يعملون فى حقل الخدمة ينبغى ان يطلبوا المعونة من اخوتهم الذين كلفهم الله بالانتظار امامه ؛ وهكذا يعمل الله من خلال كنيسته كلها .

دعونا نصلى لكى يرينا الروح القدس مدى اهمية والحاح دعوتنا الى حقل الخدمة ؛ وأن يظهر لنا فى نفس الوقت مدى احتياجنا الكامل لقوة الله **لكى تعمل فينا ومن خلالنا . لعلنا نتعلم ان الذين ينتظرون الرب يجددون قوة ، عندئذ سنكتشف ان الانتظار امام الرب والعمل فى كرمه صنوان لا يفترقان" وكل لا يتجزأ .**

تسرب القوة

رجل الله « جيمس كونى » قال مرة فى احد كتبه انه ذهب لحفل شاى قبل ذهابه للخدمة فى احدى الأمسيات ، ورغم انـــه لم يكن هناك شىء سىء اثناء حفل الشاى الا انه عندما وصل الى الاجتماع فى هذا المساء كان خائر القوى مثل القوس المرتخية التى لا تستطيع ان تطلق سهام كلمة الله الى قلوب الناس ، كانت قوته قد تسربت اثناء حفل الشاى !!

واعرف احد الخدام الأفاضل الذى ترك قوته تتسرب منه وهـــو فى طريقه الى الاجتماع حتى أنه عندما وصل الى المنبر كان مثل العظمة الجافة !! فى طريقه إلى الاجتماع استقل سيارة اجرة لمسافة ثلاثة اميال ، وفى الطريق تحدث مع السائق فى أشياء كثيرة لا علاقة لها بالاجتماع الذاهب اليه ؛ لم تكن احاديث سيئة او قبيحة لكنها لم تكن فى الهدف الصحيح ، ابعدت ذهنه عن الله والنفوس التى سيواجهها بعد قليل ليقودها الى الله ، وكانت النتيجة انه بدلا من ان يقف امام الشعب متسربلا بالقوة وقف امامهم عاريا منها .

وانا اتذكر هذا الاجتماع جيدا ، كانت صلاته جيدة لكن لم يكن فيها قوة ، كانت مجرد كلمات : كلمات : كلمات !! والقراءات الكتابية والعظة كانت ممتازة واحتوت على افكار عظيمة وحقائق ثمينة لكنها ايضا كانت خالية من القوة والتأثير ، والسامعون بدا عليهم التشتت واللامبالاة واثقل النعاس رؤوسهم ؛ وباختصار كان الاجتماع كله « تأدية واجب » !!

نذكر هنا ان هذا الخادم لم يكن مرتدا ، انه أخ ممتاز له اختبار حسن ، وليس غبيا او جاهلا بل هو من المع وأذكى الخدام الذين عرفتهم ، لكنه بدلا من ان يسكن نفسه وقلبه امـــام الله اثناء وجوده فى السيارة فى طريقه الى الاجتماع حتى تمتلىء نفسه بالايمان والرجاء والمحبة التى فى قلب الله للنفوس الغالية ، بدلا من هذا اضاع وقته الثمين فى أحاديث عقيمة فتسربت القوة من بين يديه وتركته جافا باردا .

يقول الله « اذا اخرجت الثمين من المرذول فمثل فمى تكون » (ار ١٥ : ١٩) هذا الخادم كان ينبغى ان يذهب الى الخدمة مملوءا بالقوة ويتكلم الى الشعب كما لو كان فم الله نفسه !! وكلماته كانت ينبغى أن تكون عندئذ حية وفعالة وامضى من كـــل سيف ذى حدين ، خارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة افكار القلب ونياته (عب ٤ : ١٢) لكنه بدلا من ذلك

كان مثل شمشون بعدما قصت دليلة خصلات شعره : ضعيفا مثل واحد من الناس !!

وهناك طرق عديدة لتسرب القوة : انا اعرف أحد القادة كان يذهب الى الاجتماع مبكرا جدا فى كـــل ليلة لكنه بدلا من أن يقضى هـــذا الوقت فى الصلاة والاستعداد للخدمة كان يعزف على آلة « الكمان » الخاصة به الحانا هادئة !! ورغم تحذيرات وتوجيهات المحبة ، استمر فى هذا الاهدار للطاقة والوقت حتى أصابه الفتور وارتد عن الايمان !!

واعرف ايضـــا خداما يفقدون قوتهم بسبب « نكتة » !! يريدون ان يجعلوا اجتماعاتهم حيوية ومرحـــة فيعكفون على سرد القصص المضحكة واطـــلاق النكات والقفشات ، وقد تصبح اجتماعاتهم فعلا حيوية لكنها حيوية نفسية مفتعلة وليست حيوية الروح القدس الحقيقية . وأنا لا اعنى بذلك أن رجال الله لا يضحكون أبدا وتمتلىء اجتماعاتهم بالحزن والألم ، كلا ، فالكثير من رجال الله يستطيعون ان يملأوا خدماتهم بأوقات مرحة وسعيدة ولكن ليس بروح الخفة والهزء ، ويكون هدف هذه الأوقات هو جذب النفوس الى الله وليس مجرد قضاء أوقات ضاحكة .

على كل من يريد أن يحرك جو الاجتماع ان يعلم أنه لا بديل عن شخص الروح القدس : انه هو الحياة والقوة ، واذا حضر فى اجتماع ما ، لابد أن يملأه حيوية وايجابية واقتدارا .

ان سر القوة يكمن فى الصلاة وطلب عمل الروح القدس فى اجتماعاتنا : ينبغى ان نصلى دائما من اجل خدماتنا كما علمنا الرب يسوع قائلا « ادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٦) أعرف أحد الخدام كان يقضى ساعة منفردا فى صلاة سرية قبل الخدمة . وعندما كان يصعد الى المنبر ليتكلم كان يتكلم بقوة وسلطان الروح .

الانسان الذى يريد القـــوة ينبغى ان يتكلم مع الله قبل أن يتكلم مع النفوس ، ينبغى ان يكون شريكا لله !! ينبغى أن يحتفظ بالطريق مفتوحا بينه وبين الله فى شركة مقدسة سرية ، والله يرحب بشركة هذا الانسان ويباركه ويعلن لـــه أسراره ويعلمه كيف يخترق الى قلـــوب السامعين : الله يجعل الظلمة نورا والطرق المعوجة مستقيمة والعراقيب سهلا امام هذا الانسان .

احترس يا أخى من أن تحزن الروح القدس ، وهو سوف يقودك لتعرف الله وتحبه ؛ وعندئذ سيجعلك الله قناة لسريان قوته الى العالم .

من هو الانسان الروحي ؟

ان تقييم الروحانية يختلف كثيرا بين الجماعات المسيحية المختلفة ، ففى بعض الدوائر يعتبرون أن الانسان الروحى هـو ذلك الانسان ذو الشهادة المسموعة الذى لا يكف عن الكلام عن الأمور الروحية فى كل مناسبة وبغير مناسبة !! بينما يعتبر آخرون أن الصخب فى العبادة والتسبيح علامة على قامة روحية عالية ، وفى بعض الكنائس يعتبرون العضو الذى يصلى دائما اول المصلين وتكون صلاته هى الأطول والأعلى نبرة بين بقية الصلوات هو الشخص الأكثر روحانية .

وبلاشك ان الشهادة والصـلاة والتسبيح قد تكون مصاحبة للحيـاة الروحية لكنها فى ذاتها لا تصنع حياة روحية ، وليست دليلا عليها .

ان الحياة الروحية الحقيقية تعبر عن نفسها برغبات قوية فى أعماق الانسان الروحى تفرض نفسها على واقع حياته وتوجه سلوكه نحو مرضاة الله ، الحياة الروحية هى ارادة داخلية قوية وعميقة وليست مجرد سلوكيات خارجية ، ودعونا نلقى نظرة على هذه الارادة :

● **الانسان الروحى يريد أن يكون مقدسا اكثر من ان يكون سعيدا .**

الانسان الروحى لا يسعى وراء راحته بل وراء قداسته ، فهو يعلم ان الله سيعطيه الراحة فى حينها عندما يكون مستعدا او مستحقا لها ، اما القداسة فهى مسئوليته التى ينبغى ان يوليها كل اهتمامه واجتهاده .

فى كنائسنا اليوم رغبة جارفة نحو الراحة والسعادة ، الكل يريد أن يكون سعيدا ، فى الصلاة يطالبون الله بالراحة فى حياتهم ، فى العبادة والتسبيح يريدون ان يتعزوا ويفرحوا ، فى الخدمة يريدون كلاما جميلا منعشا ، الكل يذهب الى الكنيسة لكى يفرح وليس لكى يتعلم كيف يكون بارا أمام الله ، يطلبون راحتهم وليس راحة الله ، وهذا نقص كبير فى حياتنا الروحية .

● **الانسان الروحى يطلب مجد الله ولو على حساب مجده الشخصى .**

الانسان الروحى يصلى « ليتقدس اسمك » ثم يضيف فى قلبه « مهما كانت التكلفة يا رب » !! انه يطلب مجد الله بطبيعية وتلقائية كما يستنشق الانسان الهواء ، اذا كان هناك اختيار سيؤول لمجد الله يمكنك ان تعتبره قد اتخذه فعلا حتى قبل أن تعرضه عليه ! فلا يوجد عنده تردد بشأن مجد الله ، فهو يتجه دائما نحو مجد الله بتلقائية شديدة وثبات شديد .

● **الانسان الروحى يريد حمل الصليب**

البعض يظنون أن الصليب هو تلك المعاناة اليومية التى تصادف كـل الناس ، وينسون ان هذه المعاناة يتعرض لها الجميع ، المؤمنون والخطاة . ان الصليب هو تلك المعاناة الاضافية التى نتعرض لها نتيجة طاعتنا للمسيح ،

وهذا الصليب لا يمكن ان نحمله قسرا ، بل نحمله باختيارنا وبكامل معرفتنا بنتائجه . عندما نختار المسيح سيدا لحياتنا نكون قد اخترنا حمل الصليب ، فالصليب هو ان نحتمل نتائج طاعتنا لارادة ووصايا المسيح .

● **الانسان الروحى يرى كل شىء من وجهة نظر الله**

الانسان الروحى لديه القدرة على وزن كـل الأشياء بميزان السماء ثم يتعامل معها بحسب قيمتها فى هذا الميزان ، انه ينظر للأمور كما ينظر اليها الله .

ان الله ينظر «الى» و «فى» فى نفس الوقت !! نظرته لا تتوقف عند السطح بـل تخترقه الى القلب ، الى المعنى الحقيقى للأشياء . المؤمن الجسدى ينظر « الى » الأشياء فقط فلا يرى الا السطح لكنه لا يستطيع ان ينظر « فى » داخل الأشياء ، وبالتالى لا يرى حقيقة الأشياء كما يراها الله وبالتالى لا يستطيع ان يتعامل معهـا من وجهة نظر الله . لكن الانسان الروحى قادر على رؤية ما فى داخل الأشياء وبالتالى يتبنى وجهة نظر الله فى معاملاته حتى لو عرضه ذلك للرفض والمقاومة .

● **المؤمن الروحى يفضل الموت عن الخطأ**

علامة أكيدة للمؤمن الروحى هـو عدم مبالاته بعدد سنى حياته ، فلا يعنيه كم مر منها وكم بقى فيها ، فهو لم يعد يحسب السنين بعددها بـل بعمقها ونوعيتها . المؤمن الجسدى ينظر بحسرة للعمر وهو يعبر ، وينظر للموت بأسى وأسف ، أمـا المؤمن الروحى فهو باستمرار يتحرر من جاذبية الأرض ويشتاق للسماء ، لذلك فهو ليس على استعداد أن يشترى بعض الأيام لضيفها الى عمره فى نظير تصالحه مع العالم ، انه يرحب بالموت لكنه يرفض تماما الخطية ، يمكنك ان تجربه على الموت اذا شئت لكنك لا تستطيع ان تجبره على الخطأ !! وهذا المبدأ ستراه واضحا جدا فى كل حياته العملية .

● **المؤمن الروحى يحب ان يرى الآخرين افضل منه**

لو كانت مشيئة الله هى ان يرتفع احد اخوته فوقه سيكون هذا من دواعى سروره ، ويكون سعيدا عندما يشير الجميع الى اخوته بالبنان بينما لا يشعر به أحد ، لا يوجد حسد فى قلبه ، انه يريد مشيئة الله ومجده .

● **الانسان الروحى يعيش بأحكام الأبدية وليس بأحكام الأرض**

بالايمان يرتفع فوق جاذبية الأرض ومرور الزمن ، يتعلم كيف يعيش بفكره ومشاعره كما لو كان قد ترك الأرض وانضم الى ربوات القديسين فى كنيسة الأبكار فى السماء . منطق وحكم الأبدية يحكم حياته كلها وليس منطق الأرض الزائلة . لذلك فهو يحب أن يكون نائمـا لسيده أكثر من أن يكون مشهورا فى هذه الأرض ، ويحب أن يخدم الآخرين اكثر من ان يخدمه الآخرون .

+ لا يوجد انسان يستطيع ان يكون روحيا بمجهوده ، كل هذه الرغبات المقدسة هى عمل الروح القدس فى داخل الانسان الذى يسلم له نفسه ويترك له حرية العمل فى حياته .



المجهود الدائب الذى يبذله الكثيرون من القادة الدينيين لكى يوفقوا بين المسيحية والفلسفة البشرية الخاضعة للمنطق الطبيعى إنما هو مجهود ضائع، لأن المسيحية تسمو فوق مستوى الفكر البشرى وتحوى في داخلها خصائص تبدو للذهن البشرى متناقضة ولا تخضع للمنطق الطبيعى، إن **قوة المسيحية تكمن في تناقضها ـ وليس توافقها ـ مع طرق الإنسان الساقط !!**

في قلب المسيحية يوجد صليب المسيح بتناقضه الإلهى، إن مجد الصليب يظهر في جمعه للمتناقضات التى لا يستطيع الذهن البشرى أن يجمعها معاً، **وشهادة الكنيسة تكون أكثر تأثيراً عندما «تعلن» الحق الإلهى كما هو وليس عندما تحاول أن «تشرح» هذا الحق للذهن البشرى الضيق، وذلك لأن الإنجيل هو «إعلان» مقدم لكى نقبله بالإيمان وليس «تعليماً» خاضعاً للشرح والتفسير، لأن كل ما هو قابل للشرح والتفسير لا يحتاج للإيمان لكى نقبله، إن الإيمان يستريح على إعلان الله وليس على براهين الفلسفة والمنطق.**

الصليب يقف ضد الإنسان الطبيعى، فلسفة تسير بعكس فلسفة الذهن البشرى، لذلك قال بولس إن الكرازة بالصليب للهالكين جهالة، ومحاولة إيجاد أرض مشتركة بين رسالة الصليب وذهن الإنسان الطبيعى هى محاولة إيجاد المستحيل، وإذا أخضعنا المسيحية والصليب للذهن البشرى الساقط فستكون النتيجة صليباً بلا معنى ومسيحية بلا قوة.

لكن دعونا ننزل بالأمر من مستوى الكلام النظرى إلى مستوى السلوك العملى، ودعونا نراقب مسيحياً حقيقياً بسيطاً وهو يمارس عملياً تعاليم المسيح وتلاميذه، ولنلاحظ المتناقضات التى يحتويها هذا المسيحى العجيب في حياته :

المسيحى يؤمن تماماً بأنه قد مات مع المسيح، ومع ذلك فهو يحيا الآن **حياة أفضل من ذى قبل، بل يؤمن أن حياته أبدية لا يعتريها الموت!!**

المسيحى يمشى على الأرض بينما هو ـ في نفس الوقت ـ جالس في السماويات!! ورغم أنه مولود على الأرض لكنه بعد التجديد يشعر بأنه لا بيت له هنا، إنه مثل الطيور التى تبدو في طيرانها آية في الجمال والرشاقة بينما تبدو وهى على الأرض ثقيلة الحركة وعديمة الرشاقة، المسيحى أيضاً يبدو في أجمل حالاته عندما يُحلق في السماويات، لكنك تجده ثقيل الحركة في سيره في دروب هذه الأرض المقفرة.

المسيحى يعلم أنه إذا أراد أن يعيش منتصراً كابن للسماء، في وسط الناس على هذه الأرض فينبغى ألا يتبع أسلوب الإنسان الطبيعى بل أسلوباً مضاداً تماماً، ينبغى عليه إذا أراد أن يخلّص نفسه أن يهلكها، وينبغى أن يفقد حياته لكى يجدها!! وهو يفقد حياته عندما يحاول أن يحتفظ بها لنفسه!! إنه يتضع لكى يرتفع، ولو رفض أن يتضع يصير وضيعاً بالفعل، أما عندما يبدأ الاتضاع فإنه يجد نفسه في طريقه للارتفاع!!

المسيحى يكون في أقوى حالاته عندما يكون أضعف ما يمكن!! ويكون في أضعف حالاته عندما يشعر بأنه قوى!! ورغم أنه فقير إلا أنه يملك السلطان أن يُغنى كثيرين، ولكنه إذا شعر بالغنى تتلاشى قدرته على إغناء الآخرين!! إنه يمتلك الكثير حينما يعطى الكثير، ويمتلك القليل إذا حاول أن يحتفظ لنفسه بالكثير!!

المسيحى يكون دائماً في أسمى حالاته عندما يشعر أنه فى أقلها، ويكون في أطهر حالاته عندما يزداد إحساسه بخطيته، وهو يكون حكيماً عندما يشعر بأنه لا يعرف شيئاً، ويكون جاهلاً عندما يستند على معرفته!! في بعض الأحيان يفعل الكثير عندما لا يفعل شيئاً، ويتقدم كثيراً لأنه وقف في مكانه!! في وسط الضغوط يفرح ويحفظ قلبه سعيداً حتى في شدة الآلام.

إن مظاهر التناقض تظهر كثيراً في حياة المسيحى البسيط، فهو يؤمن بأنه مخلّص الآن، إلا أنه يتوقع في كل يوم خلاص الرب ويتطلع بفرح للخلاص الأبدى. المسيحى يخاف الله ولكنه لا يخاف منه!! في محضر الله يشعر بالانسحاق والانسكاب ومع ذلك فهو يحب أن يبقى في محضر الله أكثر من الوجود في أى مكان آخر في العالم!! إنه يعلم أنه قد غُسّل من خطاياه ومع ذلك فهو يؤمن بأنه لا يسكن في جسده شيء صالح .

المسيحى يحب بشدة شخصاً لم يره قط!! ورغم أنه في حد ذاته فقير ووضيع إلا أنه يتعامل بدالة وألفة مع ملك الملوك ورب الأرباب!! والغريب أنه لا يشعر بأى تناقض في هذا لأنه يؤمن بأنه في ذاته أقل من لا شيء، إلا أنه في نظر الله شيء ثمين حتى إن الابن الأزلى صار جسداً ومات على صليب العار من أجله!!

المسيحى هو مواطن سماوى وهو يعطى لهذه المواطنة أولوية الولاء والطاعة، إلا إنه في نفس الوقت يحب وطنه الأرضى الذى وُلد وتربى فيه حباً شديداً دفع «جون نوكس» أن يصلى قائلاً «يارب، أعطنى اسكتلندا وإلا أموت» !!

المسيحى حامل الصليب يجمع في أحشائه التشاؤم والتفاؤل في نفس الوقت، فهو عندما ينظر إلى الصليب يصبح متشائماً لأنه يعلم أن الدينونة التى وقعت على رب المجد في الصليب قد دانت في نفس الوقت كل طبيعة الإنسان وأعماله، لذلك فهو يرفض كل عمل صادر من الإنسان لأنه يعلم أن أسمى مجهودات الإنسان ليست سوى تراب مؤسس على تراب!! ولكنه في نفس الوقت متفائل لأنه يعلم أنه إذا كان الصليب قد دان الشر فإن القيامة أعلنت انتصار الله النهائى للخير في كل الخليقة، وأنه من خلال المسيح سيصبح كل شيء صالحاً في النهاية، وهو ينتظر هذه النهاية السعيدة بكل ثقة وتفاؤل، حقاً إن المسيحى كائن عجيب!!

نعمة الايمان ويقين الايمان

« لا تكونوا متباطئين بــل متمثلين بالذين بالايمان والأنـــاة يرثون المواعيد » (عبرانيين ٦ : ١٢) .

هناك فرق مهم بين نعمة الايمان ويقين الايمان ، وعدم ملاحظة هذا الفرق قد يوقع بالكثيرين فى ظلام الشك ومهاوى اليأس والقنوط .

ان نعمة الايمان هى تلك النعمة المجانية التى يعطيها الله لاى شخص حتى يستخدمها فى الاقتراب الى الله ، بينما يقين الايمان هو يقين امتلاك البركة الذى يسكبه الروح القدس فى قلب المؤمن الذى استخدم نعمة الايمان افضل استخدام ونجح فى استثمارها خير استثمار .

الشخص بعدما ينـال نعمة الايمان يقـول « انا اؤمن ان الله سوف يباركنى » ، ومن ثم يبدأ فى طلب بركة الله بقلب كامل ويصلى فى هذا الاتجاه سرا وجهرا ، ويفتش الكتاب المقدس ليعرف مشيئة الله لحياته ، ويتناقش مع اخوته المؤمنين حول اساليب الله المختلفة فى تعامله مع النفوس ، ويرضى بحمل اى صليب يقابله فى هذا الطريق ، وعندما يصل الى نهاية حدود الايمان المعطى له بالنعمة عندئذ يعطيه الروح القدس يقين نوال البركة ، مما يجعله يمتلىء بهجة واثقة بان بركة الله صارت لــه ومن حقه أن يمد يده ويأخذها ويعيش فيها ولا يعود فيما بعد يقول « ان الله سوف يباركنى » بل تجده يقول بجسارة « انا اعلم ان الله قد باركنى » !!

ان الروح القدس نفسه هو الذى يشهد بداخله أن بركة الله صارت له ، ولا يوجد انسان أو ملاك يستطيع أن يمنح مثل هذا اليقين كما لا يوجد انسان او شيطان يستطيع أن ينزعه !!

لكن الخطر كله يكمن فى ادعاء نوال هذا اليقين من قبل نواله فعلا ، أن يدعى احد يقين الايمان من قبل ان يستخدم نعمة الايمان كما ينبغى ، وهاك بعض الامثلة :

● شخص يطلب بركة القلب النقى يقول « انا اؤمن ان الله يريد ان يعطينى قلبا نقيا لذلك سوف يعطينى اياه » هــذه هى نعمة الايمان وينبغى عندئذ ان يبدأ هذا الانسان يطلب من الله هذه البركة ويمارس ايمانه فى كل الامتحانات التى يسمح الله ان يجتاز فيها ليمتحن ارادته ودوافعه ، حتى اذا اتم هذا المشوار بنجاح ينال بالروح القدس يقين نوال البركة ويبدأ يستثمر ثمارها فى قلبه .

لنفترض ان شخصا ما اتى الى صاحبنا هذا من قبل ان يكمل مشوار الايمان ، واقنعه ان يدعى امتلاكه ليقين الايمان وأن هذه البركة صارت له فعلا من قبل ان يواجه التجارب والمحكات التى تنقى ايمانه من الشوائب ، لاشك ان هذا الادعاء لن يثبت الا بضعة ايام وعند اول محك سيكتشف انه

لم ينل بركة القلب النقى كما ادعى ، وقد يقوده هذا الى رفض البركة تماما والادعاء بأنه لا يوجد ما يسمى بالقلب النقى على الاطلاق !!

● أو افترض أن هناك مريضا يقول « انا اعرف أن الله شفى مرضى كثيرين ولذلك انا اؤمن ان الله سوف يشفينى » هذه هى نعمة الايمان التى يجب أن يستخدمها فى طلب الشفاء من الله ومواصلة الطلب كل الوقت الذى يسمح الله به حتى يحصل على يقين الشفاء ، اما اذا اتى احدهم وحاول ان يجعله يثق أن الله قد شفاه فعلا من قبل ان يعطيه الله هذا اليقين بالروح القدس ، فانه قد ينهض من فراش المرض لفترة وجيزة ثم سرعان ما يكتشف انه لم ينل الشفاء ، وعندئذ قد يصاب باليأس والفشل وقد يشتكى على الله ويطرح عنه كل ايمان فيما بعد .

● هــذا خادم يعلم ان الله يشــاء خلاص النفوس فيقول لنفسه « انا اعلم أن الله سوف يخلص عشر نفوس فى هذه الليلة » لكن تنقضى الليلة دون ان تخلص النفوس العشر التى انتظرها فيهاجمه الشك فى مواعيد الله وقوته وينتهى به الأمر الى الفشل فى الخدمة !! ما هى المشكلة ؟ المشكلة انه استعجل اليقين بخلاص هذا العدد من قبل أن يمارس ايمانه فى الصلاة والانتظار امام الرب والانصات الى الروح القدس حتى يعطيه يقينا بخلاص هذا العدد المحدد ، لقد تخطى مرحلة ممارسة الايمان وقفز مباشرة الى مرحلة يقين الاستجابة وهو امر غير مقبول .

نعمة الايمان تكون مجانية وتعطى لاى شخص اما يقين الايمان فلا يأخذه الا من اجتاز اختبارات الايمان وتزكى ، لقد نال ابراهيم يقين نوال الوعد بعدما اجتاز ايمانه سنوات طويلة من الاختبار القاسى ، وهكذا اذ تأنى نال الموعد (عب ٦:١٥) اننا نحتاج الى الايمان والأناة حتى نرث المواعيد (عب ٦ : ١٢) .

احترس من أن تقوم بدور الروح القدس !! اذا ساعدت احدهم كى يثق فى شىء لم يعطه الله فعلا فانك بهذا تحاول ان تقوم بدور الروح القدس وقد تلقى بهذه النفس فى التهلكة بسبب هذا التسرع ، ومن حيث تظن انك تحيطها بيديك ستكتشف انك خنقتها !! وبينما تحاول أن تحميها ستجد انها ماتت بين يديك !! لكن لو كنت تسير باتضاع وخضوع مع شخص الروح القدس ولا تحاول أن تسبقه وتعطى للنفس يقينا لم يعطه الروح القدس لها ، فسوف يقودك بحكمته الالهية ويعطيك الكلمــة المناسبة فى الوقت المنــاسب لمعونة النفس التى تتعامل معها .

ان تأخير البركة لا يعنى سقوط البركة ، قد يحتاج الامر الى مزيد من اتضاع القلب ولجاجة الطلب ، واذا تأخرت الاستجابة دعنا نعمل بنصيحة النبى القائل « ان توانت فانتظرها لأنها ستأتى اتيانا ولا تتأخر » (حب ٢:٣)

حمـــل الله

« هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩)

عندما يقول الكتاب عن الرب يسوع انه « حمل الله » فهو يقصد معنيين اساسيين لهذا اللقب ، اولهما هو طبيعة مهمته اى تقديم نفسه ذبيحة عن خطايانا مثل الحمل ، وثانيهما هو طبيعة شخصه الوديع والرقيق مثل الحمل .

عندما كان يسوع على الأرض قال « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وانا اريحكم ، احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم ، لان نيرى هين وحملى خفيف » (متى ١١ : ٢٨ — ٣٠) .

لم يقصد الرب أن الوداعة هى احدى صفاته التى يجب ان نتمثل بها ، بل انها هى صفة شخصه الرئيسية وجوهر شخصيته التى ينبغى ان نتعلمها اذا اردنا راحة لنفوسنا .

لقد اتى الرب يسوع لكى يخلصنا من الخطية ، والخطية تتركز فى صفة واحدة هى محبة الذات والكبرياء ، هذه كانت خطية الملائكة الساقطين ، كانوا مخلوقين ليجدوا ذواتهم فى الله وحده ، لكنهم بداوا ينظرون الى ذواتهم ويفتخرون بقدراتهم التى اعطاهم الله اياها ، حتى انهم شعروا ان خضوعهم لله اصبح نوعا من المذلة والتعبد لذواتهم !!

لقد اهتموا بذواتهم اكثر من اهتمامهم بالله ، وطلبوا مجد ذواتهم اكثر من مجد الله ، وعندئذ سقطوا فى حماة العصيان : الكبرياء ومحبة الذات حولتهم من ملائكة الى شياطين ، وطردتهم من السماء الى الجحيم ، وبدلت النور والبركة السماوية الى ظلمة ولعنة أبدية .

وعندما خلق الله الانسان جاء ابليس لكى يقود هذا الانسان للسقوط فى عبرة العصيان هذه عينها ، كان جوهر تجربة الحية لحواء هو تحويل اهتمامها من الله الى ذاتها ، ومع الكلمات التى نفثتها فى اذن حواء كانت تنفث سموم الكبرياء ومحبة الذات فى نفسها .

ومنذ استمع الانسان لغواية الحية أصبحت محبة الذات هى الجذر لكل خطية يرتكبها ، حياته أصبحت مبنية على اثبات الذات وارادة الذات ومتعة الذات ، الذات اصبحت هى الاله الذى يعبده الانسان ، وهذه الذات تشبه الحية الرقطاء التى لها آلاف الرؤوس ، مصدر لآلاف الخطايا والتعديات .

لكى يصير الرب يسوع هو مخلصنا ينبغى ان يخلصنا من أمر واحد : ينبغى ان يخلصنا من ذواتنا !! ينبغى ان يميت فينا الذات وان ينهى الحياة التى تدور حول الذات ، ويعطينا مرة اخرى الحياة التى تدور حول الله حتى يقال « ليس احد منا يعيش لذاته ولا احد يموت لذاته ، لاننا ان عشنا فللرب نعيش وان متنا فللرب نموت » (رو ١٤ : ٧ ، ٨) هذا هو الطريق الوحيد لراحة نفوسنا .

حمل الله وحده يعطينا الوداعة

لا يوجد سبيل آخر للخلاص من الذات سوى السبيل الذى فتحه لنا حمل الله بنفسه لنوال الحياة الجديدة ، حياة انكار الذات والوداعة ، ينبغى ان تكون هى صفتنا الاساسية وجوهر شخصيتنا ، بهذا فقط يستطيع الله ان يحتل مرة اخرى مكانه الصحيح فى حياتنا ، ويصبح مرة اخرى الكل فى الكل فى حياة الانسان .

هذا هو السبب الذى دفع الرب يسوع لان يأتى الى عالمنا فى صورة « حمل الله » ، لقد اعاد الى الأرض الوداعة وتواضع القلب وطاعة الله ، هذه الأشياء التى لم تكن موجودة على الأرض آنذاك ولذلك اتى بها من السماء .

فى السماء نجد الرب يسوع يتضع كابن لله امام الآب لكى يرسله لخلاص العالم ، لقد وضع نفسه لكى يصير انسانا ، وعندما صار انسانا وضع نفسه مرة اخرى واطاع حتى الموت موت الصليب ، كحمل الله انكر نفسه بوداعة سماوية تفوق كل افكارنا ليصبح خادما لله والناس من اجل مجد الله وخلاص الانسان ، هذا الاتضاع هو الذى ميز حياته وكان جوهر معاناته وسبب انتصاره انتصارا كاملا على الخطية ، نعم انه حمل الله الذى رفع خطية العالم .

وداعة الحمل تعطى القيمة لدمه

هذا هو سبب القيمة الثمينة لدم المسيح ، لقد ضرب الخطية فى جذورها وأصابها فى مقتل ، وانتصر انتصارا مجيدا على أصل داء الانسان وهو الذات ، لقد أعطى ذاته لارادة الآب وطوال حياته وتحت اصعب التجارب قدم نفسه ذبيحة لأجل مجد الله بوداعة وتواضع قلب وصبر ، الأمور التى كانت سبب سرور الآب وكل ملائكته القديسين .

لقد فعل كل هذا بصفته حمل الله ، وتوج كل اعماله بسفك دمه أجرة للخطية وتطهيرا لنفوسنا ، لهذا السبب يرتفع التسبيح فى السماء لهذا الدم ، دم حمل الله ، ولهذا السبب اجلسه الآب فى وسط العرش بصفته « الخروف المذبوح » .

ينبغى ان نتعلم انه لا يوجد سبيل آخر للسماء الا بتواضع القلب وانكار الذات والحياة فى وداعة يسوع حمل الله .

المسيح الخـــادم

« أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم .. أنا بينكم كالذى يخدم » (يو ١٣:١٤ ، لو ٢٢:٢٧).

كل شىء كان مهيئا للعشاء الأخير ، حتى الماء اللازم لغسل أرجل الضيوف مثل العادة المتبعة آنذاك ، لكن لم يكن هناك « الخادم » الذى يقوم بهذا العمل ، كل واحد انتظر الآخر ، ولا واحد من التلاميذ قرر أن يضع نفسه ويقوم بهذا العمل ، كانوا جالسين الى المائدة وأذهانهم تمتلىء بالأفكار « من عسى أن يكون الأعظم فيهم » !! عندئذ قام الرب عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، مشهد عجيب !! لا شك ان الملائكة كانت تتطلع اليه بمزيد من الدهشة والخشوع . المسيح خالق وملك كل الخليقة ، الذى باشارة منه تهرع جيوش الملائكة لتخدمه ، الذى كان يستطيع بكلمة محبة واحدة أن يشير الى اى تلميذ لكى يقوم بهذه المهمة . يختار أن يأخذ هو نفسه مكان الخادم ويتناول الأقدام المتسخة بين يديه الطاهرتين ويغسلها !!

عبد بصفته ابنا !!

لقد فعل يسوع هذا بإدراك كامل لمجده المساوى كابن الله ؛ لأن يوحنا يقول :« يسوع وهو عالم ان الآب قد دفع كل شىء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضى ؛ قام عن العشاء ». لا يوجد شىء حقير او قذر بالنسبة لهاتين اليدين اللتين دفع الله كل شىء اليهما ؛ لأن حقارة العمل لا تنقص من قدر العامل ، الانسان هو الذى يرفع شأن العمل ويضفى عليه الهيبة والتبجيل حتى لو كان احقر الأعمال ؛ لقد صار عبدا بصفته ابنا !! ولأنه يدرك أنه الابن الحبيب الذى دفع اليه الآب كل شىء لم يجد صعوبة فى ان يتنازل الى هذا الحد !! بل قد وجد فى هذا العمل المذل مجدا سماويا وطريقا الى البركة الحقيقية !!

عندما اخذ الرب مكان الخادم كان يرسخ مبدأ الاتضاع فى كنيسته ؛ من يريد أن ينال المزيد من النعمة ينبغى أن يجد فرحه فى أن يكون خادما للكل « من اراد ان يكون فيكم اولا فليكن لكم عبدا ... واكبركم يكون خادما لكم » (مت ٢٠:٢٧ ؛ ٢٣:١١). كلما إزداد تمثلى بالمسيح تنازلت أكثر لكى اخدم كل المحيطين بى ، أعيش واتحرك فى وسط ابناء الله خادما للكل ،

أطلب الخير للآخرين باتضاع واستعداد للعطاء وليس بتعال واهتمام بكرامتى. عندئذ فقط أكون سبب بركة لهم وتابعا حقيقيا للمسيح .

والخادم لا يعتبر عمله اتضاعا ولا يخجل من أن يكون آخر الكل ، هذا هو مكانه الطبيعى ، وعمله العادى هو أن يخدم الآخرين ؛ ان السبب فى أننا لا نسبب بركة للآخرين هو أننا نحب أن نخدمهم باعتبارنا أعلى منهم فى القامة والنعمة ، أو على الأقل مساوين لهم ؛ لكن لو تعلمنا من ربنا أن نتعامل مع الآخرين بروح الخادم فسنكون سبب بركة عظيمة للعالم كله !! وعندما تحتل روح الخادم مكانها الصحيح فى وسط كنيسة المسيح عندئذ سيرى الجميع مجد حضور الله فى الوسط .

غسل مزدوج

وغسل الأقدام يشير الى أمرين : الأول هو غسل وترطيب الجسد والثانى هو خلاص وتطهير النفس ؛ اثناء حياة الرب على الأرض كان هذان العملان متلازمين دائما :« العمى يبصرون ... والمساكين يبشرون » (مت ١١:٥) وكما فعل مع المفلوج كان دائما شفاء الجسد عربونا لخلاص النفس.

وتلميذ المسيح لا ينبغى أن ينسى هذا الحق المزدوج عندما يطيع وصية المسيح :« يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض » (يو ١٣:١٤) ينبغى أن يتذكر دائما أن خدمة الجسد الخارج هى المدخل لخدمة النفس فى الداخل ؛ ان خلاص النفس هو الغرض الأساسى من خدمة المحبة عنده . وتلميذ الرب ينبغى أن يكون مستعدا لشق طريقه الى النفس من خلال قيامه بأعمال المحبة العادية قليلة الشأن فى الحياة اليومية .

الخادم الحقيقى لا يعبر عن خدمته باللوم والتوبيخ ؛ كلا ؛ بل بالمحبة والعطف مع كل المتعامل معهم ، ورغبته فى أن يخدمهم ويساعدهم تشهد بأنه خادم حقيقى وتلميذ للمسيح ؛ مثل هذا الخادم اذا تكلم تأتى كلماته مصحوبة بتأثير ينفذ بسهولة للنفس ؛ وعندما يواجه خطية وعناد ومقاومة الآخرين لا يفشل بل يتشجع عندما يتذكر كم تعامل الرب معه بصبر كثير وطول أناة، بل ومازال الرب يتعامل معه كل يوم ويغسله وينقيه ، لذلك هو لا يفشل بل يعتبر نفسه واحدا من خدام الله الذين اقامهم ليخدموا ويخلصوا الانسان؛ ولينحنوا على الأقدام ليغسلوها لو لزم الأمر !!

بالنسبة للمحبة لا يوجد شىء صعبا ؛ المحبة لا تتحدث ابدا عن تضحيتها ؛ انها تخدم الانسان حتى او كان غير مستحق للخدمة ؛ المحبة هى القوة التى جعلت يسوع خادما ، وهى التى تجعلنا نواصل خدمتنا مهما كانت التكلفة .

الاله القديم

« الاله القديم ملجا ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران »
(تث ٣٣ : ٢٧ ، يع ١ : ١٧)

تدور عجلة الوقت وتتعاقب السنون ويأبى الزمن الا أن يضع بصماته على كل شيء فينا ؛ على كل الناس وعلاقاتهم وأوضاعهم ومشاعرهم؛ كل شيء فينا يشيخ ويتقادم ، الأجساد توهن ويغزوها المرض والضعف ويسرع بها الزمن الى طريق الأرض كلها ، والأرواح أيضا تشيخ وتضعف وتفقد تألقها وتوثبها القديم ، وحتى المشاعر تبرد وتتبلد بعدما ملأت الدنيا ضجيجا وتقلبت مع كل الأحداث على كل وجه ؛ حزنت وفرحت وخافت واشتاقت ، ثم أخيرا تسكن وتستكين بعدما ادركت انه لا جديد تحت الشمس ، وتبدأ تراقب تقلب الزمن بصمت وجفاف كما ترجع السحب بعد المطر ، وكل ما شاخ فهو قريب من الاضمحلال ، ويوما ما لابد أن يسكت صوت المطحنة التي دارت كثيرا لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدي .

ويترك الانسان الساحة الى اجيال جديدة لتدور في نفس الدائرة وليفعل بها الزمان نفس فعلته ، فيرفعهم الى قمة القوة وغرور الغنى ثم فجأة يهبط بهم الى الهاوية عندما ينفصم حبل الفضة وينسحق كوز الذهب ، وحين تنكسر الجرة على العين وتنقصف البكرة عند البئر ، عندئذ يرجع التراب الى الأرض كما كان وترجع الروح الى الله الذي أعطاها (جا ١٢) .

الكل يخضع لهذا الدوران وما يحدثه من تغييرات عميقة في قلب وحياة الانسان المتغير الفاني ، وما السنة الماضية والسنة القادمة الا حلقات في هذه العجلة الرهيبة التي تدور بنا دون أن نشعر حتى تصل بنا الى النهاية المحتومة .

الله وحده لا يخضع لهذا الدوران والتغيير ، لأنه يقف في مركز دوران عجلة الزمن وليس في طرفها ، انه المتحكم في دوران عجلة تاريخ الانسان وصانع تعاقب الأزمان والأجيال ، انه بحكمة فائقة يدير عجلة الزمن لكي يصوغ من الانسان كائنا جديرا بالسكنى معه في الأبدية .

والانسان يظل عند طرف عجلة الزمن يدور معها بلا حول ولا قوة ؛

يخضع لتغييرات الزمن ويتقلب معها دون أن يعرف لنفسه هدفا لوجوده ، واذا لم يجد الانسان مركزا ثابتا يتعلق به فان عجلة الزمن تطوح به بعيدا بعدما تطحنه في دورانها الذي لا يرحم ولا يرثى لأحد ، لكن اذا ارتبط الانسان بالله الموجود في مركز دائرة الزمن فلن يؤذيه تقلب الزمن لأن حياته متصلة باله ثابت لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران ، ومهما مر الزمان أو تغير الوقت فالاله « القديم » يبقى له ملجأ وحصنا من صروف الزمن .

هذا الاله يبقى وحده غير متغير ، لقد عرفته منذ صباي وكلما مضى الزمان تغيرت حولي الأشياء والأشخاص والمفاهيم ، لكنه وحده لا يتغير ، وعدم تغيره هو الأساس الذي يحمي حياتي من أن تتمزق بين المتغيرات المتعاقبة والمتضادة ، أنا لا استطيع تصور أن استيقظ يوما فأجده قد تغير أو أن موقفه مني قد تبدل ، اذا لتحطمت حياتي فورا ، لكن له كل المجد لأن ثباته هو أساس ثبات واستمرارية حياتي ، ان حياتي معه سلسلة متصلة الحلقات بدأت يوما ما وستستمر طوال الأبدية بلا انقطاع ، ولن يستطيع الزمن أن يضيرها لأنها علاقة بمن هو فوق الزمن وسيد الزمن ، ولقد عبر هو عن هذه الحقيقة حينما قال : « لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا » (ملا ٣ : ٦) .

بل انه نفس الاله القديم قدم التاريخ ، اله الآباء منذ آدم مرورا بشعب اسرائيل وصولا الى الكنيسة ، ان علاقتي به لم تبدأ منذ صباي فقط بل منذ كان يتعامل مع آدم وكنت أنا كامنا في صلب آدم !! ان علاقتي بهذا الاله بدأت في جنة عدن وتشكلت من خلال تعاملاته مع اجيال الآباء المتعاقبة حتى انتهت وتبلورت في علاقتي الشخصية معه الآن ، ان ايماني تأسس على كلماته التي قالها لموسى واشعياء وبولس ، وثقتي بـه تأسست على ما فعله مع ابراهيم ويوسف وبطرس ، لقد تتلمذت على اقواله التي قالها من فوق جبال اليهودية ، وقدماي تعلمتا اتباعه في دروب الناصرة والسامرة وأورشليم ، وعيناي رأتا مجده فوق جبال سيناء والكرمل والزيتون ، بل ان روحي قد اغتسلت وتحررت بين جثسيماني والجلجثة ، انه فوق الزمن ، وعندما التصقت به تحررت من قيود الزمن واستطاعت روحي أن تعيش معه وتستفيد من معاملاته مع كل الأجيال السابقة ، **انه حقا الهي « القديم » العزيز ، الذي مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (ميخا ٥ : ٢)**

سلطان المؤمن

ان معركتنا مع العدو تحتاج ان نظل متذكرين ان لنـــا سلطانا فوق كل قوات العدو ؛ اننا نجلس فوق كل رياسة وسلطان ، ان كلمة الله تؤكد لنا ان انتصار وسلطان المسيح قد نسب الينا ، لكننا ينبغى ان نمارسه .

فى عام ١٩٥٢ ظهر لى الرب يسوع فى رؤيا وتكلم معى وقتا طويلا عن اشياء فى غاية الاهمية ؛ لكن فى نهاية الرؤيا تسلل روح نجس بينى وبين الرب ، واطلق شيئا مثل الدخان او السحاب الاسود ، وبدأ يقفز ويصيح بصوت مقزز . ولم استطع ان ارى الرب او افهم ما يقوله لى ، وتعجبت : لماذا سمح الرب لهذا الروح ان يفعل هذا الامر ؟ ولماذا لم ينتهره حتى استطيع ان اسمع ما يقوله لى ؟ !

وانتظرت لدقائق قليلة لكن يسوع لم يفعل شيئا ضد هذا الروح النجس ؛ كان يسوع مازال يتكلم لكننى لم افهم كلمة واحدة مما كان يقوله لى ، وفكرت فى نفسى قائلا « الا يعلم الرب انى لا أستطيع ان اسمعه ؟ الا يدرك انى احتاج ان افهم ما يقوله لى ؟ لماذا اذا لم ينتهر هذا الروح الشرير » ؟ !

وبعد فترة شعرت بالضجر فصرخت فى الروح النجس قائلا « فى اسم يسوع المسيح انا آمرك بأن تكف عن هـــذا ايها الروح الشرير » وفى ذات اللحظة التى تلت فيها هـــذا انشقت الأرض وابتلعت هـــذا الروح النجس وانقشع الضباب الأسود وعدت ارى الرب واسمعه جليا .

كان الرب يعلم تماما ما يدور فى فكرى . لقد كنت افكر « لماذا لم يفعل يسوع شيئا ازاء هذا الروح النجس ؟ » فنظر يسوع نحوى وقـــال « لو لم تفعل انت شيئا ضد هذا الروح النجس ما كنت انا فعلت اى شيء ضده » !! فاندهشت للغاية وقلت « لماذا » ؟ فعاد يســوع يقول « لأنى اعطيت كنيستى السلطان لتقاوم ابليس وكل قواته ، ولابد ان تمارس هـــذا السلطان ، ان الكنيسة هى جسدى واصغر عضو فى الكنيسة لديه السلطان فوق كل رياسة وسلطان ؛ وغير مقبـــول من الكنيسة ان تصلى لكى يفعل الله شيئـــا ضد ابليس ؛ بل هى المسئولة ان تستخدم سلطانها الممنوح لهـــا لكى توقف كل **اعماله ، وما لم يتحرك المؤمنون فى مناطق كثيرة من العالم لمواجهة ابليس فلن يحدث شيء فى هذه المناطق .**

ثـــم وضع يسوع امامى هذا الشاهد « وهـــذه الآيات تتبع المؤمنين : يخرجون الشياطين باسمى » (مر ١٦:١٧) ان العلامة الأولى التى تتبع المؤمنين ــ وليس الخدام او ذوى المواهب الخاصة ــ هى انهم يخرجون الشياطين باسم يسوع ؛ هذا يعنى اننا ينبغى ان نمارس سلطاننا ــ باسم يسوع ــ ضد قوات العدو .

وشاهد آخر يقول « الذى انقذنا من سلطان الظلمة ، ونقلنا الى ملكوت ابن محبته » (كو ١:١٣) اى أن الله قد حررنا فعلا من اى سلطان للظلمة ؛ وبالتالى أصبح لنا الحق ان نحطم قوى الظلمة فى كل مكان .

ثم لفت يسوع نظرى الى الشاهد الموجود فى (يع ٤:٧) « قاوموا ابليس فيهرب منكم » هذا الشاهد لا يقول أن ابليس سيهرب من يسوع بل سيهرب منا ، وعندما رجعت الى القاموس لأرى معنى كلمة « يهرب » وجدتها تعنى « يجـــرى فزعا » ؛ ان ابليس سيجرى امـــامك فزعا اذا استخدمت سلطانك ضده فى اسم يسوع .

وهناك جزء كتابى آخر يأمرنا بأن نفعل شيئا ضد ابليس : « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر .. فقاوموه راسخين فى الايمان » (١ بط ٥:٨،٩) ماذا ينبغى ان نفعل امام الأسد الزائر ؟ هل نسقط على الأرض ونتصنع الموت ؟ أم نخفى رؤوسنا فى الرمال ونأمل الا يرانا ؟ ! أم ترانا نهرب امامه ؟ ! كلا ، ان الله يطلب منا شيئا آخر ، انه يقول « قاوموه راسخين فى الايمان » .

يقول الكتاب عن الرب يسوع « واخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل راسا فوق كل شيء للكنيسة التى هى جسده » (اف ١:٢٢،٢٣) واذا كانت القدمان هما اقل اعضاء الجسد شانا ، واذا تخيلنا ان اصغر مؤمن هو فى باطن القدم مثلا ، فهو اذا يكون ــ بحسب الشاهد السابق ــ فـــوق كـــل شيء .

لكنك اذا استمعت الى اى حديث بين المؤمنين او أصغيت لأية عظة من فوق منابرنا لدخلك الاعتقاد بأن ابليس اقوى جدا منا وهو المتحكم فينا . لكن هذا ليس صحيحا ، ان ابليس هو رئيس هذا العالم ولكننا نحن لسنا من هذا العالم ، اى أنه بلا سلطان علينا ، بل نحن جالسون مع المسيح عن يمين الآب فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان ؛ دعونا نمارس سلطاننا هذا .

هذه الامور ليست هينة وليس من المناسب ان نستخف بها ، قال لى احد الخدام مرة « انا ايضا جعلت ابليس يجرى لكن بأسلوب مختلف ، لقد كنت اجرى وهـــو يجرى خلفى » !! عبارة مثل هـــذه تعكس مدى الاستخفاف والاستهانة بهذه الأمور كما انها تصور الحـــال المؤسف للغالبية العظمى من المؤمنين والخدام !! كلا ايها الأعزاء ، ان ابليس ينبغى ان يجرى من امامنا وليس خلفنا ، دعونا نمارس سلطاننا الممنوح لنا فى اسم يسوع .

رسالة من المقام

« لا تخافا ، اذهبا قولا لاخوتى أن يذهبوا الى الجليل وهنـــاك يروننى » (متى ٢٨ : ١٠) .

انى اريد ان اذكركم بهذه الرسالة التى حملنى بها السيد فى فجر قيامته، ولا تتعجبوا انى مازلت أذكرها فمرور عشرين قرنا من هذا الزمان ليس له وزن فى حسابات الأبدية ؛ وانا مازلت أشعر بوقع هذه الرسالة على نفسى وروحى كما لو كانت بالأمس فقط ، كان الوقت الذى مر علينا عصيبا عندما القوا القبض على يسوع وأسلموه للموت ، ورايناه يسلم نفسه لهم ليفعلوا به كل ما ارادوا ، لم نكن نفهم شيئا وكنا نظن انه فى اية لحظة سيخرج من بين ايديهم كمـــا فعل سابقا لكن هـــذا لم يحدث ، واستمر تلاحق الأحداث الرهيبة حتى وصلوا به الى صليب الجلجثة ، لم نصدق ما يحدث امامنا ؛ كيف يمكن ان يموت هذا الانسان الذى منح الحياة للموتى ؛ كيف يحنى راسه تحت ظلمة ارواحهم الشريرة وهـــو الذى اخرج منى سبعة أرواح شريرة واخرج الى النور نفسى وروحى ؟ !!

كنت اقف بعيدا مع بقية النسوة نراقب الموقف بهلع وخوف ، كنا نبكى بشدة ليس على شخص المصلوب فقط ؛ كلا ، بل كنا نبكى انفسنا ، نبكى انهيار الأمل بداخلنا . نبكى كل شىء جميل فى الحياة . كنا نودع كل ما هو طاهر ونقى فى هذه الأرض . نعم . اننا لم نعرف الحياه والطهارة والنقاء الا عندما عرفنا يسوع . هو الذى اتى بنا من طين الأزقة وصنع منا بشرا اسوياء. هو الذى اصعدنى انا شخصيا من العبودية والمذلة وصاغنى كيانا طاهرا حرا ؛ انه هـــو حياتى وشمسى . وهـــل يمكن أن تموت الحياة أو تنطفىء الشمس ؟ !

الم اقل لكم انى أذكر هذه الأحداث كما لو كانت بالأمس ؟ كانت ليلة هذا السبت هى اطول واقسى ليلة مرت على نفسى وعلى كل نفس عرفت يسوع ؛ كانت ليلة مظلمة لم تفارق فيها الدموع عينى وانا اذكر كل احداث حياتى السابقة منذ أن تعرفت على شخصه الكريم . هل تصدقوننى اذا قلت لكم انى **تذكرت كل كلمة نطق بها وكل نظرة وكل موقف وكل اشارة ؟ ! وكيف لا وهو سيدى الذى أعادنى للحياة وأعاد الحياة الى ؟ !**

لكن اقسى الذكريات كانت تلك التى فى الجليل . عندما التقى بتلاميذه فى بداية خدمته ؛ هناك صنع اول أعماله العظيمة وهناك اختـــار تلاميذه ووعدهم بأن يجعلهم صيادى الناس ؛ هناك تركوا كل شباكهم وأعمالهم جانبا وقرروا أن يذهبوا خلفه ، نعم ، كانت أياما مشرقة ممتلئة بالايمان والرجاء ، كـــان افق ايماننا رحبيا وتوقعنا مستقبلا باهرا مملوءا بالأعمال

العظيمة ، ولكن ها نحن قد تركنا الجليل بحياته البسيطة النقية وانتقلنا الى تخوم اليهودية وأورشليم حيث صخب الاحداث وتعقيداتها ؛ وها قد تتابعت الأحداث بصورة غير متوقعة حتى انتهت الى هذه النهاية المأساوية ؛ آه ، اين أنت يا ايام الجليل البادئة ؟ ! اين انت بوعودك الثمينة وافق ايمانك الرحيب ؟! هل سقطت هذه الوعود . هل خنقت أورشليم بزحامها ايمان صيادى الجليل البسطاء ؟ ! كان هذا هو الظاهر للعيان فى تلك الليلة الحزينة .

وفى فجر الأحد باكرا جدا ذهبت الى القبر مع مريم الاخرى ، وأنتم تعلمون ما حدث ولا داعى أن اكرره عليكم ، اكتشفنا ان الرب قد قام وهزم الموت وقبر القبر ، وبزغ فجر الأمل من جديد فى قلوبنا المظلمة الباردة واحيا فينا الرجاء مرة أخرى . فهرعنا نركض لا نعلم الى أين ، يحدونا الأمل فى تحقيق كل الوعود القديمة ، وعود الجليل المشرقة ، وفى نفس الوقت ينتابنا الخوف من أن يعود الموت يجسم على صدورنا لأننا لم نكن متأكدين من خبر القيامة ، وهنا التقانا السيد بنفسه وكانت أول كلماته لنا « لا تخافا » ، نعم ، كان يعلم ما يجول فى صدورنا ؛ ثم طلب منا أن نحمل منه رسالة الى تلاميذه تدعوهم للذهاب الى الجليل لكى يلتقى بهم هناك !! الجليل !! نعم ، لم اقل لكم انـــه يعلم تماما ما يجول بخاطرنا ، الجليل مكان الوعود الاولى والمحبة الاولى ؛ الجليل مكان التكريس الاول والايمان الأول ؛ عندما تركنا كل شىء وتبعناه ، الجليل مكان الارسالية الأولى ، ماذا يقصد الرب بالجليل ؟ انه يريد أن يقول انه قد انتصر على كل قوى الظلام التى حاولت أن تبطل دعوته وعمله . انه يريد أن يقول لتلاميذه ان شيئا لم يتغير من كل تلك الوعود الأولى ؛ وانه لم ينس اية كلمة قالها لهم هنـــاك . انه يريد أن يجدد لهم ارساليته التى قبلوها منه فى الجليل ؛ باختصار كانت دعوة الرب الى الجليل تقول لنـــا : ارجعوا الى ايمانكم الأول الذى فقدتموه فى صخب الجلجثة ؛ وارجعوا الى دعوتكم الأولى ورسالتكم التى قبلتموها فى البداية ثم تاهت منكم فى زحمة الأحداث .

وانا اليوم أعتبر نفسى مسئولة أن احمل اليكم نفس الرسالة يا اخوتى مؤمنى القرن العشرين ، **رغم ان ظروفكم تختلف عن ظروفنا لكنكم معرضون لان تنسوا دعوتكم الأولى تحت وطأة صعوبات الحيـــاة** وتلاحق الأحداث ؛ وتظنوا أن الرب قد فشل فى تحقيق وعوده لكم . كلا ؛ الرب قد قام وانتصر على كل القوى التى حاولت أن تمنعه من تتميم مشيئته على الأرض ؛ وهو الآن يريد أن يتمم وعوده لكـــم وفيكم . ارجعوا الى عهـــد تكريسكم الأول وهنـــاك ترونه !!

أختكم / **مريم المجدلية**

رسالة من دموع

"فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مراً"
(لو ٢٢: ٦٢)

لم أكن أتصور أن الحقيقة مُرَّة إلى هذا الحد!! أشعر بمرارتها تملأ جوفي، حقيقة إني لا أحبك بالحق بعد كل هذه السنين، حقيقة إني لم أتبعك بالحق ولم أتعلم منك بعد كيف أنكر نفسي، حقيقة إني أحب نفسي أولاً وقبل أي شيء آخر، حقيقة إنه يمكن أن أحب نفسي ولو على حسابك!! آه، إن ولائي الأول هو لذاتي، لقد تبعتك لأني أحب ذاتي، أردت أن آخذ منك كل ما أستطيع وعندما حان وقت العطاء لم أجد ما أعطيه!!

ما أبعد الفرق بين محبتك ومحبتي، كانت محبتك لي دائماً هي محبة العطاء لكن محبتي لك ظلت دائماً محبة الأخذ، في كل يوم كنت أراك تبذل ذاتك بلا مقابل لأجل الجميع، تسكب حياتك كالماء المراق لأجل حياة العالم، لكني لم أستطع أن أتعلم منك كيف أنكر نفسي، بل قل إني لم أرد أن أتعلم.

في البداية كنت آخذ مكان التلميذ وأتعلم منك بوداعة وبساطة، وكم كانت جميلة تلك الإعلانات التي أخذتها وأنا في هذا المكان، ولكني رويداً رويداً بدأت أترك مكان التلميذ هذا، وبدأت نفسي تتشامخ وتطلب مكاناً متقدماً، أصبحت أبحث من طرف خفي عن مكانتي بين التلاميذ، أحببت أن أكون الأعظم فيهم، وبينما كان سرورك أن تكون آخر الكل كان سروري أن أكون الأول، ولهذا لم نتصادم ونفترق كل هذه السنين، ليس لأننا نسير متجاورين بل لأن كلاً منا يطلب مركزاً بخلاف الآخر، فبينما كنت أنتَ خادماً للجميع كنتُ أنا أريد أن أكون مخدوماً من الجميع!!

لقد حاولت كثيراً أن تلفت نظري لهذه الذات المتضخمة، هل أنسى عندما أخذتَ رجليَّ لتغسلهما؟ كان تصرفك هذا نوراً يفضح كبريائي، لكني لم أنكسر ولم أنحنِ بجوارك لأغسل أرجل إخوتي، بل ظللت جالساً بينهم وأنت منحنٍ عند الأقدام!!

كل مَنْ حولي لم يلاحظوا شيئاً، لكن أنت وحدك كنت ترى أني تركت مكان التلميذ ورحلت بعيداً، كنتُ قريباً منك بالجسد ولكن نفسي كان يفصلها عنك وادٍ عميق، وادي الاتضاع وإنكار الذات والخضوع لمشيئة الآب، هذا الوادي الذي عبرته أنت بسرور ورفضتُ أنا أن أعبره، لذلك كان لابد أن تأتي هذه الليلة التي فيها تتقدم أنت لتتمم مشيئة الآب وأخرج أنا خارجاً في الظلمة لأبكي فشلي المرير!!

إن الذي يفصلني عنك الآن ليس العسكر والسيوف والعصي، إن ما يفصلني عنك الآن هو ذاتي المنتفخة الجوفاء، ذاتي التي تفضِّل الراحة وتهرب من الألم، ذاتي التي لم تتعلم أن تقف بجوارك وتشاركك آلامك، آه.. إن مرارة الحقيقة يمكن أن تسلمني لليأس القاتل لولا أني أتذكر كلماتك تتردد في أعماقي: **«ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك»**!! إن شفاعتك تلك هي طوق النجاة الوحيد في وسط بحر الظلمات هذا، إني أتعلق بها بكل قلبي، شفاعتك تضمن لي أني سأرجع، سأرجع من كبريائي وعنادي وانتفاخي الفارغ، سأرجع إلى مكان التلميذ المتضع، إن شفاعتك تؤكد لي أن مكاني عندك محفوظ ينتظر رجوعي!! نعم سأرجع لأثبت إخوتي، كم هي جميلة لفظة «إخوتي» هذه!! كنتَ تعلم كبرياء قلبي الذي يريد أن يستعلي عن بقية تلاميذك، لكنك أردت أن تؤكد لي أنهم إخوتي الذين يقفون معي على نفس الأرض، دعوتنا معاً، وعلَّمتنا معاً، وأحببتنا معاً، نعم، إنهم إخوتي الذين مكاني بينهم، ليس فوقهم بل معهم وتحتهم كما كنت أنت دائماً!!

أشكرك من أجل هذا الامتحان!! إنه امتحان مُرّ ولكنه ضروري، كان ينبغي أن تضع محبتي على المحك، حتى وإن انهارت كل ثقتي واعتدادي بذاتي إلا أن روحي تحررت وأبصرت جلياً، لو لم تكسر قشرة ذاتي السميكة لظلت روحي أسيرة كبريائي غير قادرة على الانطلاق، لكني الآن أشكرك لأن القيود قد انحلَّت عني والغشاوة قد انفكت عن عينيَّ.

إني سأرحل الآن وأتركك في وسط هؤلاء الوحوش لأنه ليس عندي ما أقدمه لك، لكني أثق أنك ستنتصر على شرهم، فأنا أعلم أن خيانة الصديق أقسى جداً من شر العدو، وإذا كانت محبتك قد انتصرت على خيانتي فهي بلاشك ستنتصر على شر أعدائك، إن هذه المحبة لا يمكن أن تسقط أبداً ولا يمكن أن تمسك من الموت.

لا تقلق على تلميذك الساقط، فقد تعلَّم الدرس أخيراً!! لقد كسبت محبتك المعركة ونظرتك انتشلتني من طوفان ظلمتي، سأرجع إلى مكان التلميذ البسيط مرة أخرى، سآخذ مكاني عند قدميك وأتعلَّم منك مرة أخرى، ستجدني دائماً في وسط إخوتي وليس فوقهم، سأثبِّتهم كما أردتني أن أفعل، ليس لأني أفضل منهم بل لأني اختبرت الفشل أكثر منهم!! وإذا كانت محبتك قد نجحت في رد نفسي فهي بلاشك ستنجح في رد نفوس الجميع، وإلى أن أراك في فجر انتصارك اقبل مني دموع توبتي واعترافي وامتناني ومحبتي لشخصك الكريم.

تلميذك الخائن / سمعان بطرس

لن أدعه يموت

في عام ١٩٤٧ أصيب المشرف على مدارس الاحد فى كنيستى وهو يعمل على مضخة بحقل بترول ؛ سقط من فوق برج المضخة بداخل غرفـــة الآلات وجاءنى الخبر بأنه قد مات .

عندما وصلت الى مكان الحادث كان يرقد على الأرض بلا حراك بجانب برج المضخة وبجواره نقالة معدة لنقله ، وكان الناس ملتفين حـــول مكان الحادث ، وركعت بجوار د . « جريث » الذى همس لى : « لقـــد ظننت فى البداية انه مات ؛ ولكنه مازال حيا وان كان سيموت حالا ، وانا لا استطيع أن انقله على النقالة لأن اية حركة قد تقتله فورا ؛ من فضلك يا أخ هيجن خذ زوجته جانبا وهيئها لقبول الخبر » فقمت واخذت زوجته جانبا لكن ليس لكى اهيئها للخبر بل لكى اصلى معها ؛ اذ كان لدينا ايمان بأن الله سيبقيه .

ظل فترة طويلة غائبا عن الوعى ؛ ملفوفا فى ملاءة وملقيا على الأرض ؛ ولكنه لم يمت كما توقع الطبيب . وأخيرا قرر الطبيب أن يخاطر وينقله الى المستشفى وهو يقول لى : « أنا متيقن أننا لن نصل به حيا الى المستشفى ؛ لكن هذا هو الخيار الوحيد أمامنا ؛ لا يمكن أن نتركه هنا أكثر من ذلك » .

ولكن عندما وصلنا الى المستشفى كان مازال حيا ؛ وكان فى انتظاره ثلاثة أطباء . وقررت ان ابقى بجواره أثناء الليالى بينما كانت زوجته تلازمه نـــهارا .

وفى الليلة الثالثة . وفى حوالى الثامنة مساء . قـــال لى واحد من الأطباء : « أيها القس . سنكون أمينا معك . هذه هى ثالث ليلة وهو مازال فى غيبوبة تامة . ولا نعرف حتى حجم اصابته لأننا لم نستطع أن نعمل لــه اشعة على مكان الاصابة لأننا لو حركناه اقل حركة لكى ننقله الى غرفة الأشعة سيموت فورا ؛ وحالته تتدهور بسرعة وليس فى أيدينا ان نفعل له أى شىء »

فى تلك الليلة كـــان ينبغى أن أصارع مع الله فى الصلاة لأجله ، لكنها كانت ثالث ليلة اقضيها مستيقظا بجواره ؛ لذلك حالما جلست على مقعدى بجوار فراشه ذهبت فى نوم عميق ، ثم استيقظت مفزوعا على صوت الممرضة وهى تتحرك بجوار فراشه تفحص حالته وهو تحت خيمة الاكسجين ، وعندما رأيت حالته السيئة صحت : « لقد مات ! لقد نمت وتركته يموت أمامى » !! لكن الممرضة قالت : « كلا ؛ انه مازال حيا وان كان قد اقترب جدا من الموت ؛ واعتقد انه قبل ان تنتهى نوبتى فى السابعة صباحا سيكون قد مات » وكانت الساعة عندئذ قد جاوزت الثانية صباحا .

عندئذ قمت وخرجت من الغرفـــة الى الردهة وبدأت أصلى ببساطة

الايمان : « يا رب . أنا لن أدعه يموت !! وهاك أسبابى ؛ أولا : انه المشرف على مدارس الأحد فى كنيستى وانا لا أستغنى عنه ، ربما أنـــه ليس أفضل انسان فى العـــالم لكنه أفضل العاملين معى !! وثانيا : انه يقدم ٣٠ ٪ من دخله الى الكنيسة ، وثالثا : ان الشعب كله يحبه ويحترمه ، ورابعا : ان الكتاب المقدس يعلمنا ان الموت عدو ، لذلك انا اقاومه وآمره بأن يترك هذا الأخ ، لأنى لن أدعه يموت » !!

فى الثامنة صباحا دخل الطبيب الى الغرفة ورفع خيمة الأكسجين وبدأ يستمع الى صوت الصدر ، وبعد فترة التفت نحوى وصاح : « لقد اجتاز الأزمة !! نستطيع الآن ان نعمل له الأشعة ؛ ادفع معى النقالة من فضلك » !! وبعدما اعادوه من غرفة الأشعة قال لى نفس الطبيب : « الآن لديه فرصة شفاء تساوى ٥٠ ٪ » .

كنت من الخارج ابدو هادئا لكنى فى الداخل كنت اطفر فرحا وأقول فى نفسى : « ٥٠ ٪ ؟! عما تتحدث يا عزيزى ؟! ان فرصته للشفاء هى ١٠٠ ٪ بكل تأكيد » !!

لكن الغريب فى هـــذه القصة هو انى لم اخبر زوجتى او اى احد آخر بالصلاة التى صليتها فى تلك الليلة ، ورغم ذلك فوجئت بهذا الأخ عندما ذهب الى الكنيســة لأول مرة بعد شفائه يقوم ويشهد قائلا : « انا أشكركم جميعا لأجل صلواتكم ؛ ولكنى لا اريدكم ان تحزنوا لأجل الموتى فى الرب ؛ فأنا لم اشعر بأى ألم . بمجرد سقوطى فقدت الاحساس بأى شىء ، ووجدت نفسى فى السماء وسمعت موسيقا لم تسمعوا مثلها على الأرض قط ، ورأيت يسوع يتقدم نحوى . وكنت على وشك ان اسجد أمامه واخبره كم أحبـــه وكم أنا سعيد بالوجود معه الى الأبد ، الا انه بادرنى قائلا : « ينبغى ان تعود فورا » فقلت بدهشة : « لكنى لا أريد ان أعود » فعاد يسوع يقول : ينبغى أن تعود؛ الأخ هيجن لا يريد أن يدعك تبقى هنـــا » !! ومد يسوع يده كما لو كان يفتح نافذة وجاءنى صوت الأخ هيجن بوضوح وهو يقول : « يا رب ؛ انا لن أدعه يموت » وبعدها لم اشعر بشىء الا حين استيقظت فى المستشفى » !!

لم يسمعنى احد وانا اقول هذه العبارة ولم اخبر بهـــا احدا ، كيف سمعها اذا ؟! حقا ان صلواتنا تصعد الى الله ويحفظها أمامه .

امتحنوا الأرواح

«أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (١ يو ٤:١)

نحن نعيش في أيام اختلال أخلاقي وروحي، وفي هذه الأوقات قد يكون من الصعب تمييز الغث من الثمين والحق من الباطل، ولقد حذرنا ربنا الأمين من عدم تمييزنا للأرواح وقدم لنا تحذيرات شديدة اللهجة، «حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا، لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضلوا لو أمكن المختارين أيضاً» (مت ٢٤:٢٣، ٢٤).

الرب يقول هنا إنه في نهاية الزمان سيكون هناك نمو للنشاطات الدينية المصحوبة بظواهر خارقة للطبيعة، ولكن لا ينبغي أن تخدعنا هذه الأعمال بل يجب أن نمتحن كل روح هل هو من الله؟

بعض المؤمنين ذوو الأذهان البسيطة يخافون أن يخطئوا ضد المحبة إذا هم تجرأوا على امتحان كل شخص يأتيهم مرتدياً ثياب الروحانية ومتكلماً باسم يسوع، إنهم لا يجرأون على امتحان تعاليم أنبياء العصر الحديث لئلا يتورطوا في رفض شيء يتضح فيما بعد أنه من الله، إنهم يتذكرون كيف رفض الفريسيون المسيح عندما أتى إليهم ولا يريدون أن يقعوا في نفس الخطأ!! لذلك فهم إما أن يؤجلوا الحكم على الأشياء أو يغفلوا عيونهم ويقبلوا كل شيء بدون تعليق، وهم يظنون أن هذا دليل على الروحانية العالية، لكن الحقيقة أن تصرفهم هذا ليس دليلاً على أية روحانية على الإطلاق بل قد يكون دليلاً على غياب الروحانية بالمرة!!

السذاجة ليست مرادفاً للروحانية، والإيمان ليس حالة ذهنية تجعل صاحبها يفغر فاه ويبتلع ما يصطبغ بصبغة الروحانية، الإيمان يجعل القلب مفتوحاً لقبول كل ما هو من الله ولرفض كل ما هو ليس من الله مهما كانت هيئته جذابة.

«امتحنوا الأرواح» هذه هي وصية الروح القدس للكنيسة، **إن خطية قبول الباطل تتساوى مع خطية رفض الحق**، والميل لعدم الحكم على الأشياء، ليست الوسيلة الناجعة لتفادي الوقوع في الخطأ، إن امتحان كل الأشياء بحسب المحبة والحق إنما هو التزام على كل مؤمن في كل وقت وبقدر ما نرى اليوم يقرب.

كيف يمكننا القول إن شخصاً ما أو اتجاهاً روحياً ما هو من الله أم لا؟ الإجابة تحتاج إلى أناس لديهم الشجاعة أن يتبعوا الحق الذي أعلنه لهم الله، وهناك على الأقل امتحانان يمكننا بهما أن نمتحن الأرواح، أولهما:

الحياة المقدسة

خادم الله ينبغي أن يكون شخصاً صالحاً ومملوءاً بالروح القدس، طاهر القلب ومقدس الحياة، ونحن بالطبع لا نطالب بالقداسة المطلقة التي فوق مستوى البشر لكن الخادم الذي يمكن أن نعطيه ثقتنا ينبغي أن يحيا مثل المسيح بكل طاقته، وإذ أخطأ في أي عمل أو كلمة يعرف كيف يتوب فوراً من كل قلبه.

التعاليم المبهرة والآيات المعجزية لا تصلح دليلاً كافياً على أن الخادم هو من الله، لا بديل عن الحياة الطاهرة المقدسة، الإنسان الذي يستأمنه الله لابد أن يكون متضعاً، منكراً لذاته، باذلاً لنفسه، معتدلاً ومتعففاً، نظيف السلوك، خالياً من محبة المال، تواقاً إلى تمجيد الله كما هو تواق لرفض كل ثناء يوجه لشخصه.

والامتحان الثاني الذي ينبغي أن نمتحن به الأرواح هو:

سلطان كلمة الله

ينبغي أن نُخضع كل كلمة وعمل لسلطان الكتاب المقدس، لا يكفي أن يقتبس الخادم آية من هنا وآية من هناك، أو يعوض نقص التعليم بأن ينسب لنفسه اختبارات مروعة مع الله!! لابد أن نرجع إلى الشريعة وإلى الشهادة وإلا فلن يكون لنا فجر، لو كان الكلام ليس بحسب كلمة الله فهذا دليل على أن الخادم ليس فيه نور، ونحن السامعين لنا كل الحق بل تحت التزام أن نمتحن أقواله في ضوء كلمة الله.

ينبغي أن نطالب كل شخص يطلب منا ثقتنا أن يقدم لنا تعليماً كتابياً صحيحاً ونقياً وقوياً، ليس أن يشير من حين لآخر لآية كتابية أو يلوح بالكتاب في يده بصورة درامية أمام السامعين!! **ينبغي أن يحكم الكتاب في كل شيء وكل شخص.**

إن نتيجة اتباع إرشاد خاطيء في الصحراء هي الموت عطشاً، ونتيجة اتباع **نصيحة خاطئة في دنيا الأعمال هي الإفلاس، ونتيجة الثقة في طبيب مزيف هي عاهة مستديمة، ونتيجة ثقتنا في نبي كاذب ستكون مأساة أخلاقية وروحية**، لذلك دعونا نتحذر أن لا يخدعنا أحد:

«فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين» (مت ٢٤:٤، ٥)

لا يكن لك آلهة أخرى

« أنا الرب الهك .. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى »
(خر ٢٠ : ٣)

هناك معنى عميق لاسم الله الذى اعلن به نفسه لشعب اسرائيل : « يهوه » ، وهى كلمة عبرية مركبة تتكون من ثلاثة مقاطع مأخوذة من ثلاث كلمات عبرية تعنى « الذى كان فى الماضى » و «الذى هو موجود فى الحاضر» و « الذى سوف يكون فى المستقبل » ، ان هذا الاسم يعلن للانسان عن الاله الازلى الأبدى القائم بذاته فى كل وقت وكل مكان ، بعيدا عن ادراك الانسان المحدود واعلى جدا من فهمه الضيق .

لو استطاع خيال الانسان ان يخترق حجب المستقبل البعيد وينظر الى الأوضاع المستقبلية الكائنة فى رحم الغيب فسوف يجد « الله » هناك سيدا ومالكا لكل شىء . واذا تفكر الانسان فى حاضره بكل جوانبه والغازه ووقائعه فسوف يجد « الله » قائما فى وسط هـذا الواقع ومتحكما فيه ، واذا رجع الانسان بذاكرته الى الماضى السحيق باحداثه الجسام فسوف يجد « الله » مسيطرا وموجها لكل شىء ، انه « يهوه » الذى كان والكائن والذى يأتى ، سواء نظر الانسان الى جذوره او تفكر فى حاضره او تطلع الى قادم ايامه فسوف يسمع «الله» يقول لـه «انا هو الهك .. يهوه» ، انه الاله الذى يحاصر وجود الانسان ولا يستطيع احد ان يهرب من حقيقة وجوده ، انه « يهوه » الموجود دائما .

هذه هى الحقيقة التى بنيت عليها الوصية الاولى من وصايا جبل سيناء . الله يقول للانسان « انا هو الرب الهك ، لا يوجد غيرى يتحكم فى وجودك ؛ لذلك لا ينبغى ان يكون لك آلهة اخرى امامى » .

معنى الوصية

اذا كان الله فعلا كما اعلن عن نفسه . الكائن والذى كان والذى يأتى ، فينبغى عندئذ أن يكون موضوع العبادة الوحيد . اذا كان فعلا «يهوه» الاله الذى يحتوى وجود الانسان فالوصية عندئذ تكون امرا الهيا ملزما ؛ **ويكون من الطبيعى أن يعبد الانسان الالــه الذى أوجده ، ويكون من غير الطبيعى وغير المبرر أن يعبد آلهة أخرى الى جانب « يهوه » العظيم . اذا** كان اعلان الله عن نفسه حقيقيا فالله عندئذ يكون كافيا للانسان لا يحتاج معه الى آلهــة أخرى ؛ لا يوجد اله آخــر يشترك مع « يهوه » فى كفايته للانسان ، وأى انسان عرف « الله » الحقيقى لا يطيق أن يجمع آلهة اخرى امــام الرب ، لذلك أعلن « الله » نفسـه للانسان فى مجده الكـامل وكفايته المطلقة ، وعلى هذا الاعلان اسس الوصية الاولى « لا يكن لك آلهة اخرى امامى » .

الانسان يحتاج الى اله

كل انسان يحتاج الى اله ، ولا يوجد انسان بدون اله ؛ فى مكان ما من القلب يوجد اله ما ؛ فى جانب معين من الحياة ستجده يعبد الها ما ، الانسان خلق ليعبد كما خلق الطائر ليطير ، ان طبيعة تكوين الانسان وجوهر وجوده يتطلب مركزا للعبادة حتى يستطيع ان يمارس وجوده .

وكل كيان الانسان يشارك فى العبادة ، كل الطاقات وكل المشاعر وكل الافكار تدور حول موضوع العبادة الموجود فى مركز الحياة ، قد يكون الها مزيفا لكن للاسف كل الكيان يدور حوله !! والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : هل الحياة تدور فى فلك « الله » الحقيقى او حول اله مزيف ؟

هناك فى مكان ما من حياتك يوجد اله ما . غرض ما انت تدور حوله . هدف ما تسعى نحوه. شىء ما انت تعبده !! عندما يفقد الانسان عبادة «الله» الحقيقى يتحول تلقائيا لعبادة نفسه ، ومــا اكثر الذين يعبدون انفسهم فى ايامنا هذه ، كل وقتهم وقواهم وافكارهم تدور حول انفسهم ، يعملون دائما مرضاة ذواتهم .

اصنام الأمس واليوم

فى كل الأحوال يطلب الانسان لنفسه الها او ملكا يحدد له برنامج حياته. ويرتب له اولوياته، ويعطيه اسلوب الحياة، ويطلب منه الطاعة والخضوع. وعندما فقد الانسان علاقته بيهوه المبارك حاول أن يضع مكانه آلهة اخرى مثل «مولوك» و «بعل» و «مامون» آلهة الامم القديمة ، عبادة «مولوك» هى عبادة القــوة القاسية المتجبرة . وعبادة «بعل» ترتبط بالاغراق فى أوحال الشهوة والنجاسة . و «مامون» هو اله الذهب والمال . والبست هذه هى نفس الآلهة التى يعبدها الانسان فى يومنا هذا ؟ ! انظر الى الحروب والجرائم القاسية المتفشية فى مجتمعاتنا ، اليست هذه ذبائح بشرية تقدم على مذبح «مولوك» اله القسوة والعنف ؟ ! وانظر الى آلاف الساقطين والساقطات المتسكعين فى الشوارع الخلفية وعلب الليل ؛ اليسوا ضحايا عبادة «بعل» ؟! ومحبة المال التى تزداد فى كــل يوم وتغزو كل القلوب ، اليست هى نفسها عبادة «مامون» اله الذهب القديم ؟ ! كما يقول بولس اننا نعيش فى جيل يعبد بطنه (فى ٣:١٩) ماذا ناكل ؟ ماذا نشرب ؟ هذه هى آلهتنا المعاصرة التى لا تختلف فى جوهرها عن اصنام الامم القديمة .

« يهود » هو وحده الهك الذى يحاصر وجودك ويبقيك على قيد الحياة ، ليس المال ولا الشهوات ولا اى شىء آخر . من فضلك اختل بنفسك دقائق قليلة ؛ وافحص نفسك فى ضوء الوصية الاولى : « من هو الهك ؟ حول اى شىء تدور حياتك ؟ » لو كانت الاجابة اى شىء الا « الله » فانا ارجوك بحق السماء ولاجل خيرك ان تكسر كل صنم ، وتطرد من حياتك كل اله آخر ، ولتعبد « يهود » الذى هو هو امسا واليوم والى الابد .

إبليس ليس عدواً لا يُقهر

في كل مكان من الكتاب المقدس يظهر فيه إبليس نجد قوة غير عادية تحيط بهذا المخلوق الساقط، فالكتاب يؤكد بأن الله لم يخلق مخلوقاً آخر يضاهى إبليس في القوة حتى ميخائيل رئيس الملائكة بدا ظاهرياً أنه ليس نداً لإبليس في مواجهتهما معاً، بل نراه يحتكم إلى الرب لكى ينتهر إبليس (يهوذا ٩) ونستطيع أن نرى قوة ونفوذ إبليس بوضوح أكثر في التجربة على الجبل، لا يستطيع أحد أن يقرأ هذه المواجهة دون أن يخلص إلى أن إبليس يمتلك قوة وسلطاناً فائقين.

لكن الحق الكتابى يؤكد أيضاً أن إبليس ليس عدواً لا يُقهر، قد يكون قوياً ولكنه ليس الأقوى، إنه مجرد مخلوق ولا يمكن أن يكون نداً للخالق، لقد هزمه الرب في الصليب لذلك فهو بالنسبة لنا عدو مهزوم، قد يمتلك سلطاناً فائقاً ولكننا نستطيع ـ بل ينبغى ـ أن نهزمه بسلطان الرب غير المحدود.

في بعض الأحيان تزداد الحرب الروحية ضراوة وشراسة حتى يخيل لنا أن إبليس قد انتصر، وهو يسعى لكى يوهمنا بهذا لكى نستسلم له ونكف عن المقاومة، لابد أن دانيال شعر بهذا الإحساس عندما كان يصلى لمدة واحد وعشرين يوماً من أجل استجابة الله لصلاته الملّحة (دا ١٠) ولقد ظل دانيال طوال هذه المدة صائماً ومتذللاً أمام الله.

وصلت صلاة دانيال إلى السماء منذ اليوم الأول، لكن الاستجابة تأخرت بفعل رئيس مملكة فارس الذى وقف في وجه ملاك الله الذى يحمل الاستجابة، ولكن لأن دانيال استمر مصلياً وصائماً طوال هذه المدة استطاع الملاك أن ينتصر ويأتى بالاستجابة إلى دانيال، ماذا كان سيحدث لو اعتقد دانيال أن قوى الشر المُقاومة قوية جداً لدرجة أنه لا أمل في الحصول على إجابة صلاته؟ لاشك أنه كان سيتوقف عن الصلاة ويكف عن الانتظار.

هل نستسلم للعدو بسرعة ونفقد استجابات الله لصلواتنا؟! إبليس يحاول أن يغرس بداخلنا الإحساس بمدى قوته حتى نفشل ونستسلم لإرادته، لكن الحقيقة أن قوته محدودة مهما عظمت ولا يستطيع أن يكون نداً للخالق ذى القوة غير المحدودة، وإذا كنا نحارب تحت راية الخالق فإن منابع قوتنا تكون غير محدودة، وبالتالى فلابد أن تكون النصرة من

نصيبنا في النهاية فقط إن كنا لا نكل ولا نفشل، **إن إبليس ليس العدو الذى لا يُقهر بل نحن الذين ينبغى ألا نُقهر!!** لأنها مشيئة الله أن ننال منه كل قوة نحتاجها حتى نتمم إرادته الصالحة في العالم.

خداع إبليس

كم هو مخادع إبليس عندما يحاول أن يقنعنا بأنه قوى جداً ولا سبيل لهزيمته!! أحد الشباب اتصل بى مرة وتكلم معى عن معركته مع مملكة إبليس، كان شاباً رياضياً ذا بنيان قوى جسمياً وذهنياً، لكنه كان مُعذَباً بهجوم متواصل من قوات الشر، كانوا يهاجمونه بآلام مزعجة في جسده بدون أسباب عضوية، وفي بعض الأحيان كانوا يمسكون لسانه حتى كان يفحّ مثل الثعبان!! وفي هذه الأوقات كان يشعر بالعجز وعدم المقدرة على الصمود.

شرحت له قوانين الحرب الروحية وأرسلت إليه بعض المواد المشجعة، ولقد أفاده هذا لبعض الوقت ولكن بعد فترة بدا أن الهجوم عليه صار أكثر شراسة، وأخيراً اتصل بى مرة أخرى، وفي هذه المرة كان ينقل لى رسالة الفشل والخسران!! ولقد كنت قادراً على فهم أحاسيسه في ضوء معاناته الطويلة في الحرب، ولكنى أردت أن أنفره من استسلامه، لذلك قلت له مستهزئاً بعدما تركته يسرد أخبار فشله المتكرر: «أنت على حق، إن إبليس فعلاً أقوى من الله، ولقد استطاع أن يمتلكك وينبغى أن تسلّمه نفسك لأنه لم يعد لك أى أمل»!!!

وبعدما انزعج لأول وهلة من كلامى قال: «أنت تقصد أن هذا هو المعنى الحقيقى لكلمات الفشل التى خرجت منى، أليس كذلك؟ أنت على حق، لقد سقطتُ في فخ إبليس وتركته يقنعنى بأنى مهزوم لا محالة، أيها القس صلِّ من أجلى» واشتركنا في الصلاة عبر التليفون، وبينما كنت أصلى كانت قوات الظلمة تحاول أن تقاومنا لكننا استمررنا في الصلاة متمسكين بمركزنا الثابت كمنتصرين في المسيح، وبعد فترة انكسرت قوات الظلمة وسمعت هذا الشاب يسبح الله من أجل الحرب المتواصلة وحتى من أجل الهزائم التى عانى منها، واثقاً أن للرب قصداً من وراء كل شئ!!

إبليس يريدنا أن نسجد له (مت ٤:٨، ٩) وإذا كان قد تجرأ أن يجرب ابن الله لكى يسجد له فلابد أنه سيستخدم كل قواه وخداعه لكى يجربنا بالسجود له، وهو خبيث بحيث لن يطلب منك هذا صراحة بل سيحاول أن يجعلك تعتقد أنه قوى جداً حتى تصل إلى اليقين بأنك لابد مهزوم، وتبدأ تنظر لإبليس كالعدو الذى لا يُقهر وعندئذ تكون قد سقطت في الشرك، وتكون قد نسبت لإبليس قوة ليست له وقدمت له مخافة لا يستحقها، **وهذا نوع من السجود!!**

هزيمة المشتكى

«لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا.. وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم» (رؤ ١٢: ١٠، ١١)

هل تعرف هذا المشتكى؟ هل تعرفه كشخص؟ هل شعرت يوماً أن هناك سداً في طريقك، حائطاً غير مرئى يسد عليك طريقك إلى الله لا تعرف ماهيته ولا كيفية التصرف حياله؟ إنه إبليس يعترض طريقك، وإذا لم تكن تعرفه وتميز وجوده فلن تستطيع أن تكمل مسيرك الروحى.

لاحظ الصفة الأساسية التى تميز إبليس هنا ألا وهو «المشتكى»، إن أسلوبه في الهجوم هو الشكاية عليك، سيل من الاتهامات ينهمر عليك طوال اليوم: «أنت مخطىء، إنك بعيد عن مشيئة الله... إلخ».

ألم تفشل كثيراً في تمييز هذا السيل من الشكاية وظننتها أفكاراً خارجة من داخلك؟ وبسبب عدم تمييزك لمصدر هذه الشكاية تقوقعت داخل نفسك حتى ظنك الناس انطوائياً؟ أليس بسبب هذه الشكاية ضدك امتنعت عن القيام بالكثير من الأعمال التى طلبها الله منك؟ لا تستطيع أن تستمتع بفعل أى شىء بسبب هذه الاتهامات المتواصلة، لا تستطيع أن تتكلم، لا تجد ما تقوله، لا تعرف كيف تصلى، فأنت كذا وكذا ولا يحق لك الصلاة!! وهكذا تنكفىء على ذاتك وتلف وتدور حول نفسك وأنت تعتقد أن كل هذا خارج من داخلك.

إنها تسحقك، تسحب الابتسامة من وجهك، لأنك دائماً لست كما ينبغى أن تكون، لا تصل أبداً إلى ما تريد، لو كنت فقط مثل الأخ فلان لكنت عندئذ سعيداً، كل الآخرين أفضل منك، كلهم حصلوا على بركات وأنت لن تأخذ شيئاً، وهكذا تمضى في طريقك بغيمة على عينيك وثقل على روحك!!

الآلاف من أبناء الله يعيشون حياة عقيمة بسبب الانحصار في الذات والتقليل من قيمة النفس، والسبب هو أنهم طوال الوقت يتعرضون لهذا السيل من الشكاية، بكلمات في آذانهم أو صور ترتسم في أذهانهم، لو استطاعوا فقط أن يميزوا مصدرها لاستطاعوا أن يخرجوا منها وينتصروا عليها.

وإبليس أيضاً يقاومك بتعليقاته المتواصلة على كل عمل تقوم به، هل تعمل أى شىء دون أن تجد علامة استفهام تبرز فجأة في ذهنك؟ إنه المشتكى الذى يريد أن يقيدك لكى لا تفعل أى شىء!!.

وإبليس يشتكى في داخلنا على الآخرين أيضاً، فهو المشتكى على إخوتنا، كل شخص

تقابله تجد في ذهنك شكاية على كل تصرفاته!! ولأنك لا تعرف مصدر هذه الشكاية فقد تنزعج منها وتصاب بالكثير من الاضطراب.

أسلحة الانتصار

ينبغى أولاً أن تعترف بكل خطية وتحصل على الغفران بدم يسوع، فأية خطية غير مغفورة تقوى شكاية العدو وتضعف مقاومتك له، ولذلك فدم الخروف هو السلاح الأول للانتصار على المشتكى.

وبعدما تقف على أرضية صلبة من «دم الخروف» يأتى عندئذ دور «كلمة الشهادة»، ولاحظ أن هذه الشهادة موجهة مباشرة لإبليس!! إنها ليست شهادة أمام الكنيسة أو في اجتماع مغلق، فالكتاب يقول «وهم غلبوه.. بكلمة شهادتهم» أى إن هذه الكلمة كانت سلاحاً موجهاً للعدو مباشرة.

• بماذا تشهد لإبليس عندما يهاجمك؟!! إننا نحتاج أن نتعلم الكثير عن التعامل المباشر مع العدو، لا تحاول أن تتجاهل المشتكى لأنه لن يتركك وشأنك، ينبغى أن تواجهه، دع الكلمات تخرج من بين شفتيك بحسم ووضوح، قل له «يا إبليس أنت مهزوم في الجلجثة، لقد هزمك يسوع المسيح، وأنا أختار بكامل إرادتى أن أنتمى ليسوع المسيح، وأنا أقف الآن مع المسيح ضدك، مستنداً بالكامل على انتصار يسوع وفاعلية دمه، أنتهرك لكى تكف عن شكايتك ضدى وضد الآخرين».

لقد انتصر يسوع على إبليس في الجلجثة لكن أنت أيضاً ينبغى أن تنتصر، فالكتاب يقول «وهم غلبوه» أى إن المؤمنين ينبغى أن يمارسوا انتصارهم بأنفسهم على أرض راسخة من «دم الخروف» وسلطان «كلمة شهادتهم».

في بعض الأحيان لا تجدى الصلاة أو أى شيء آخر في تحريك هذا السد الذى تشعر به يقف أمامك حتى تنفجر فيه قائلاً بصوت عال: «أنا أعلم أنه أنت يا إبليس، في اسم يسوع ابتعد عن طريقى» وللوقت ستجد هذا السد قد زال!!

إن إبليس هو الكذاب وأبو كل الأكاذيب (يو ٨: ٤٤ بحسب الترجمة الإنجليزية والترجمة التفسيرية) إن كل كذبة يبثها في ذهنك لديها القدرة على التوالد وإنتاج آلاف الأكاذيب!! لذلك لا تقبل شكاية ولا تتركها تتكاثر في ذهنك، فقط افحصها لمدة دقيقة واحدة: هل هى نابعة من إرادتك، هل تحبها وتريدها؟ إذا كانت الإجابة بالنفى فهى إذاً شكاية من العدو ينبغى أن تواجهها بكلمة شهادة واضحة: «أنا أرفض في اسم يسوع كل أكاذيبك عنى وعن إخوتى» وعندئذ يسقط المشتكى.

حراسات الليل

«وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم» (لو ٢:٨)

في الليل.. يغشى العيون النعاس، وتتحرك الذئاب للافتراس، وتبقى الغنم.. آمنة في عيون الحراس!!

بينما كانت كل فئات الشعب تخلد للنوم في تلك الليلة المشهودة كانت هناك فئة واحدة اختارها الله لكي يبشرها بميلاد المخلِّص، فئة ساهرة في البرية تغالب النوم ولا تستسلم للنعاس لكي تحفظ الرعية المنوط بهم حراستها، فئة من الناس يعرفون أخطار الليل من اللصوص والذئاب التى تحوم بحثاً عن فريسة، ويعرفون أخطار البرية من جوع وعطش التى لو تاه فيها خروف في لحظة تغفل عنه عين الراعى فلن تُكتب له السلامة أبداً، ويعرفون ضعف الخراف وكيف أن كل قوتها تكمن في الراعى وكل تعزيتها في عصاه وعكازه، لذلك فهم لا يسمحون لعيونهم أن تغفل بل يظلون ساهرين لحراسة خرافهم التى تخلد للنوم في سلام غير مبالية بأية أخطار تحيط بها، دافعهم الوحيد هو أمانتهم ومحبتهم للرعية.

لقد اختار الله هذه الفئة ليكونوا أول مَنْ يستمعون إلي البشارة لأنهم يرمزون إلى فئة مشابهة موجودة في العالم الروحى، فئة تجدها دائماً عندما يحل الليل وتكتنف الظلمة الروحية كل الأجواء، فئة تجدها في برية هذا العالم حيث تكثر الأخطار، تجدهم يحيطون برعية الرب ويحرسونها من كل شر، لا يعطون لعيونهم نوماً ولا لأجسادهم راحة بل يسهرون على سلامة شعب الرب الذى هو مطمع لكل روح ردىء، يطعمون الجائع ويعصبون الجريح ويجبرون الكسير، يبحثون عن الضال ويستردون المطرود، يبذلون نفوسهم عن الخراف إذا لزم الأمر، ودافعهم في هذا هو محبتهم للرب ولشعبه، كل عملهم في الظلمة حيث لا يستطيع أحد أن يراهم أو يميز عملهم ، لذلك فهم لا يلقون مديحاً من أحد بل كل جزائهم سيكون من الرب عندما يسترد وديعته بسلام.

كان هناك نفر من هذه الفئة ضمن الشعب الغارق في ظلمته، يرجع إليهم الفضل في حفظ بقية من الأتقياء في وسط برية الارتداد القاحلة، وهذا أحدهم:

«وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه» (لو ٢:٢٥)

ولأنه كان ساهراً ينتظر تعزية إسرائيل لذلك كان يحق له أن يرى بالروح القدس هذه التعزية رغم كونها لم تُعلن بعد للجميع، إذ أتى بالروح إلى الهيكل وإذ رأى الصبى أخذه على ذراعيه وبارك الله، وبينما الكل يرون مجرد صبى صغير إلا أن سمعان رأي فيه خلاص الرب الذى أعده أمام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعب إسرائيل!! وإذ كان يوسف ومريم قد تعجبا مما قاله سمعان إلا أنه لا وجه للعجب لأننا نعلم أن الله قد أراه مسبقاً ما يزمع أن يفعله، لأنه كان ساهراً منتظراً لهذا العمل وحارساً لرعية الرب مهيئاً الأرض لمجئ المخلِّص.

وبسبب الظلمة الكثيفة المحيطة بتلك الأيام لم نستطع أن نميز وجود سمعان وعمله إلا مع أول خيوط فجر الإعلان!! طوبى له لأنه أحد الأمناء، الذين حقٌ لهم أن يروا عمل الرب وهو بعد وليد!! ودعونا نرى ساهراً آخر:

«وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير، وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (لو ٢: ٣٦-٣٨)

أربع وثمانون سنة من الظلام لم تفتُ في عضدها ولم تسلِّم جفونها للنعاس!! أربع وثمانون سنة لم تكف عن انتظار فداء أورشليم بل واستطاعت أن تحفظ حولها جمعاً من المنتظرين فداء في أورشليم!! أليست هذه راعية متبدِّية تحرس حراسات الليل؟! بلى، لذلك كانت قادرة ـ وجديرة ـ بأن ترى فداء أورشليم وهو بعد في بدايته، وفي تلك الساعة خرجت منها التسبيحة التى ظلت مختزنة في صدرها كل هذه السنين!!

ونحن الآن في ليل لا يقلُ عن تلك الأيام القديمة، وأخطار كثيرة تحدق بشعب الرب، وبينما يثقل النعاس عيون الجميع، هل يرى الرب فينا رعاة لا يخشون خوف البرية ولا ظلمة الليل، يسهرون على سلامة رعية الرب حتى يأتي ويسترد وديعته؟! لاشك أن هذه الفئة موجودة وإن كنا لا نراهم ولا نميز عملهم، لكن طوبى لهم لأن الرب وحده يراهم ويقدِّر عملهم وسيجازيهم مع أول خيوط الفجر الآتى، لأن هؤلاء الذين أحبوه وشاركوه فى أيام رفضه من العالم لابد أن يشاركوه أيام ملكه وسلطانه أيضاً، له المجد إلى الأبد.

يا حارس، ما من الليل ؟

"يا حارس ما من الليل؟ قال الحارس أتى صباح وأيضاً ليل"

(إش ٢١: ١٢، ١٣)

إن المتتبع لتاريخ شعب الرب سواء في العهد القديم أو الجديد يجده دائماً نهاراً يعقبه ليل، وليلاً يتلوه نهار، رغم أن مشيئة الرب لشعبه هى أن يكونوا في نهار دائم ولا يسلكوا في الظلمة بل يكون لهم نور الحياة، إلا أن طبيعة الإنسان الساقطة تأبى أن تبقى في النور ولا تهدأ حتى يخيم الليل على كل الأجواء!!

يا حارس..
ما من الليل؟
كم مضى منه، وكم بقى فيه؟
يا حارس..
آه من الليل!
كم تألمت منه، وكم بكيت فيه!!

والليل في الكتاب المقدس يشير إلى فقدان الرؤيا الروحية الصحيحة، وانتشار أرواح الكذب والضلال، وسيطرة روح العالم على نفوس الناس واجتذابها بعيداً عن مشيئة الله. في الليل يثقل النعاس والهموم قلوب المؤمنين فيصبح تطلعهم إلى السماء شاقاً وصعباً، في الليل يلقى المؤمن مقاومة شديدة لاقتفاء أثر سيده، ويصبح من الأسهل جداً على الإنسان أن يخطىء من أن يصيب، وتكثر الخطية وتسود الذات وتلمح الموت الروحى ينتشر في الاجتماعات التى سريعاً ما ينفض عنها العابدون، وعندما تتشتت الغنم في البرية يسهل اقتناصها من كل الوحوش.

لكن الرب الرحيم يقيم لنفسه في وسط هذه الظلمة شهوداً أمناء، يسعون في هذا الليل بجهود مضاعف لرعاية شعب الرب وتجميعهم والإحاطة حولهم، ومن الناحية الأخرى تجدهم يصعدون ويقفون على مرصدهم يرقبون الصباح، إنهم كالحراس الساهرين على الأسوار يرصدون في أى وقت هم من الليل، كم مضى منه وكم بقى فيه، يرفعون للرب باستمرار صراخاً وتوسلات لكى يأتى بفجر ينهى هذا الليل، يطالبون بوقت نعمة وإشراق وجه الرب على شعبه، إنهم باليد الواحدة يرعون الشعب وبالأخرى يبتهلون لشمس البر لكى يشرق.

.. ويأتى صباح

واستجابة لمراحم إلهنا ولصلوات عبيده الذين أضناهم الليل الطويل يأمر الرب بوقت يُشرق فيه بوجهه على الشعب ويأمر بنعمة تسود كل الأجواء الروحية وتطرد أمامها أرواح الشر والضلال، وفي هذا النهار تنفضح أعمال الظلمة وشراك العدو فتسهل رؤية طريق المقادس

أمام أنظار طالبى الرب، فتمتلىء أماكن العبادة وتلمح النعمة تغلّف العابدين وتشتمُ رائحة حضور الرب العطرة في وسط الاجتماعات.

.. وأيضاً ليل !!

ولكن دأب الطبيعة الساقطة دائماً أن تحوِّل نعمة ربنا إلى دعارة، وتصيِّر الحرية فرصة للجسد!! لذلك نجد أنه بسبب السهولة البادية في وقت النهار، وبسبب نعمة الله التى تغفر وتصبر ولا تقتص من الشر في الحال، تتسرب الاستهانة إلي النفوس وتفقد الحرص الواجب والفحص الدائم للذات في محضر الله، وتتسرب داخل جماعة المؤمنين أعداد من غير المؤمنين يكونون كالخمير الذى سرعان ما يخمِّر العجين كله.

بل في جو الاستهانة هذا قد يصعد إلي المنابر وعاظ ليسوا مدعوين من الله، يقدمون طعاماً مغشوشاً للشعب، ويصبح الحال كما قيل عن الشعب القديم: «جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»!!

دعونا لا نكون كالأطفال،
في الليل يبكون ..
وفي النهار يلعبون !!

وبسبب هذا التساهل تبدأ النعمة تتسرب من بين أيدينا، ويحزن الروح وينطفىء فينا، ويحجب عنا نوره ونعمته، ويزحف الليل ليملأ الأجواء بدلاً من الروح المبارك، وتعود تنتشر أرواح الكذب والضلال والزيف مرة أخرى، وأعداد كثيرة من التى انضمت ظاهرياً إلي الكنائس تجدها ترتد سريعاً وتعود إلى مكانها في العالم المظلم وهى محمَّلة بكم ضخم من الشكاية والافتراء على الله وشعبه.

وهكذا ستجد إذا قرأت كتابك المقدس وتاريخ الكنيسة منذ عهد الرسل وحتى الآن أن كل نهار أعقبه ليل!! عجباً للإنسان، في الظلمة يرتمى في أحضان الخطية ويضلُّ سريعاً، وفي النهار يستهين ويتساهل حتى يجلب على نفسه ظلمة أقسى من الأولى، حقاً إن تاريخ الإنسان كله تلخصه هذه الكلمات: «أتى صباح وأيضاً ليل»!!

يا حراس كنيسة المسيح، يا من ترعون قطيع الرب في ظلمة الفتور الروحى المخيم علينا في هذه الأيام، تطلعوا إلي السماء، وطالبوا بفجر جديد يطرد الظلام، تشبثوا بصلاح الرب ورحمته واقرعوا بابه بلجاجة حتى يأمر لنا بنهار.

لكن من الناحية الأخرى لا تنسوا أن تعلموا شعبكم كيف يكونون أمناء لنعمة الله، كيف يسلكون بالتدقيق في الليل وفي النهار على السواء، كيف يتمسكون بالنعمة ويقدرونها حق قدرها حتى لا تتسرب منهم، علِّموهم ألا يستهينوا بغنى لطف الله وإمهاله بل يحسبوا أناة الرب خلاصاً، لعل الرب يأمر لنا بنهار لا يعقبه ليل، نهار ينمو ويزداد إلى النهار الكامل، آمين.

عندما يضيء الليل

« بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت »
(لو ١ : ٧٨ ، ٧٩)

كان الليل يرخى سدوله الكثيفة على الأمة العاصية ، ليل الارتداد الطويل الممتد منذ أيام ملاخى آخر نور لمع في العهد الغابر ، أيام كان الله يتكلم مع الشعب ، وعندما أبت القلوب أن تستمع للتحذير وعاد الشعب يخطىء إلى الله مثلما فعل قبل السبى ، بل زادوا على خطاياهم قدراً من الصلف والعناد فأنكروا أخطاءهم وأنكروا محبة الله (ملا ١ : ٢ ، ٦) عندئذ ارتفعت سحابة المجد من وسط المحلة ، وسكت صوت النبى ولفّ الصمت الإلهى تلك الأمة أربعمائة عام ، أربعة قرون من الظلمة الكثيفة جثمت على عقول وقلوب الشعب ، وبدلاً من أن يذهبوا إلى العبودية والسبى في أرض غريبة كما في المرات السابقة ، أتى إليهم السبى والعبودية في عقر دارهم ، فبات الشعب أسيراً في أرضه غريباً في بيته ، وفرض المستعمر سلطانه في غياب سلطان الله ، وبدلاً من أن يذهب الشعب بنور إلهه إلى ظلمة الأمم فينيرها ـ كما هو مفترض ـ أتى الأمم بظلمتهم إلى أرض المنارة الذهبية فأطفأوا نورها ، والأرض التى كانت بيتاً للخبز تفيض لبناً وعسلاً صارت قفراً يباباً ، حتى عندما جاء يوحنا المعمدان كان عليه أن يكون صوتاً صارخاً في « البرية » !! نعم ، فالإنسان قادر دائماً بشره أن يحوّل الكرمة المشتهاة إلى برية !! كان آخر تحذير للشعب على لسان ملاخى أن الرب مزمع أن يضرب الأرض بلعن ، وأية لعنة أكثر من هذه التى أصابت الشعب حتى بات جالساً في الظلمة وظلال الموت ؟!

❊ ***في (مز ١٣٩ : ١١) فقلت إنما الظلمة تغشانى ، فالليل يضيء حولى ...***

وفجأة أضاء الليل !! ومن قلب الظلمة الحالكة انفجر الصبح ، بل في وسط الغضب ذكرت الرحمة ، ومجد الرب أضاء ليعلن فرحاً عظيماً يكون لجميع الشعب ، أنه وُلد لهم مخلّص هو المسيح الرب !! الرب الذى ارتفع مرة من وسط الشعب وأسلم مسكنه للأعداء يهدمونه ، والتحف بالصمت حتى يبس لسان الشعب عطشاً لكلماته المحيية ، قرّر أن يعود بنفسه وينصب خيمته في وسط الشعب ولكن ليس في المسكن القديم بل في جسد حى ، لكى يكون أقرب لقلب الإنسان أكثر من كل اقتراب سابق ، كان الناموس الذى رتّبَ له الملائكة والهيكل ذو الحجاب هما أقصى اقتراب لله من الإنسان ، كان اقتراباً خلصهم من أعدائهم المحيطين بهم ، أما الآن فالاقتراب ألصق وأعمق حيث قرّر الرب أن يشبه إخوته في كل شيء ويشاركهم في اللحم والدم ، لكى يخلصهم في هذه المرة ليس من أعدائهم بل من « خطاياهم » ، من أصل الارتداد المتعمق في قلب

الإنسان ، اقترب بنفسه لكى يفعل ما لم يستطع الناموس أن يفعله بوصاياه أو بتهديداته ، اقترب لينزع من أحشائهم قلب الحجر الذى لم يتصدّع من إحسانات النعمة المُغدقة ولا بدينونات النقمة الماحقة ، ليذيب هذا القلب بلمسات المحبة الإلهية المحيية .

وكما حار القلب في وسط ليل غضب الله وصفّق الإنسان على فخذه ألماً وندماً وعجزاً ، كذلك أمام فجر النعمة الذى أشرق من العلاء هازماً الظلال يخرُّ القلب خاشعاً لا يجد جواباً ولا يملك رداً لهذا الإحسان ، لا يستطيع إلا أن يهرع ليقدم السجود لهذا الخلاص « الوليد » ، لهذا الحب « المقمط » ، لهذا الإحسان « المضطجع في مذود » !!

❊ *وتمر السنون ...*

ويعود الإنسان إلى دأبه في معاندة معاملات الله والاستهانة بإحسانه ، وتعود سحابة المجد تنسحب رويداً خارج مسكن الله ، وتنتشر برودة الموت في الكثير من تجمعات المؤمنين بالمسيح ، ويخفت النور حتى يكاد ينطفىء لأن كلمة الله الحقيقية صارت عزيزة في هذه الأيام ، وحلّ محلها الكثير من كلمات الإنسان الجوفاء التى تصكُّ المسامع بالباطل ، وتسود مظاهر العبادة الروتينية بعدما انحسر الانسكاب الحقيقى للقلب أمام الله ، ناهيك عن التحزب والصراعات الطائفية التى تضرب هيكل المسيحية ووحدتها في مقتل ، حتى أصبح الإنسان يشعر في الكرم المسيحى بوحشة البرية وخوفها !! وبدلاً من أن تحمل الكنيسة النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان وتذهب به إلى قلب عالم الظلام ، أتى العالم بظلمته إلى قلب الكنيسة ، فرأينا فكر العالم وفلسفاته يُنادى بها من فوق المنابر ومحاولات دائبة لإحلال قوى مشاعر الإنسان وأفكاره محل حكمة الروح القدس وسلطانه ، بل إن أسلوب احتفال العالم المسيحى بذكرى الميلاد أصبح عنواناً ودليلاً على مدى تعمق روح العالم في داخل الكنيسة وتسلطه على كل شيء فيها حتى أقدس الذكريات ، أليس هذا ارتداداً وموتاً وعبودية ؟! وأى ارتداد أكثر من أن نحزن روح الله ونتركه يفارقنا ؟ وأى موت يحقُّ علينا إن استبعدنا شخص ربنا المبارك من مركز السيادة في اجتماعنا ؟ وأية عبودية ـ في عقر دارنا ـ نتوقعها إن أسلمنا قيادنا لروح العالم واستلهمنا أفكاره وفلسفاته ؟!

❊ *بأحشاء رحمة إلهنا ...*

لكن إذا كان هذا هو دأب الإنسان ، فدأب الله أن يفاجئنا في عمق ارتدادنا بنور يضيء ليلنا ، وبشارة فرح عظيم بميلاد فجر جديد ، وإذا كانت جعبة الإنسان لم تفرغ من الشر والعناد ، فإن الله أيضاً لم ولن تفرغ أبداً جعبته من المجد والعطاء ، لذلك يليق بنا في ذكرى الميلاد أن نرفع وجوهنا نحو المشرق من العلاء ، طالبين يد الإحسان تمد إلينا من وسط غيوم خطايانا بإعلان جديد عن محبة الله ونعمته ، بتعامل أعمق مع قلب الإنسان ، بنهضة شاملة لشعب الله في كل مكان ، نعم ، فرحمة إلهنا لن تدعنا نعيش على ذكرى أمجاد القرن المسيحى الأول ، بل عنده لنا في هذه الأيام الأخيرة سكيب نعمة يحطم عنا نير الظلمة ويضيء الليل حولنا ، ولكم أيها المتقون اسمه تُشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها .

بين الحق والإختبار

هناك أوقات يبدو فيها الاختبار مناقضاً للحق، وفي هذه الحالات ينبغى أن نقف راسخين على حق الله ونرفض الانقياد وراء اختبارنا.

سيدة من كندا قالت لى مرة أنها جربت كل أساليب الحرب الروحية ولم تجد نفعاً، صلت وقرأت الكتاب وقاومت إبليس بقوة وإصرار ولكنها ظلت تعانى من الحرب باستمرار، كانت محبطة، مهزومة، تبحث بيأس عن حل سريع، كانت تتمنى ابتعاد الناس عنها وعدم إحساسهم بها، وبالتالى انقطعت عن حضور الكنيسة وشركة المؤمنين، وبالإجمال كان اختبارها في الحرب الروحية يبدو مناقضاً ومتحدياً لحق الله القائل بأن إبليس مهزوم أمامنا.

وبينما كنا نتكلم سألتها عما إذا كانت قدمت الشكر لله من أجل هذه الحرب!! سألتها إذا كانت قد صلّت لكى يعلّمها الرب كل ما يريدها أن تتعلمه من هذه الحرب الطويلة فاعترفت بأنها لم تفعل هذا، كانت تظن دائماً أن هذه الحرب شيء شرير ولابد أن ينتهى فوراً، ولكن عندما رأت الآن أن الله قد يريدها أن تتعلم الثبات والثقة برغم الحرب بل وفي وسط ما يبدو أنه الفشل الذريع انفتح أمامها أفق جديد تماماً.

وتكلمنا عن إهمالها حضور الكنيسة وشركة المؤمنين باعتباره تسليماً بانتصار إبليس، واستسلامها في المقاومة وقولها بأن أسلحة الحرب لا تجدى نفعاً، كان هذا بمثابة اعتراف بأن إبليس منتصر ولا يمكن هزيمته، بينما حق الله يقول بأن إبليس مهزوم، لذلك فهى تحتاج أن تقف راسخة على الحق ولا تدع اختبار الفشل يزحزحها بعيداً عن حق الله الراسخ.

وهذا الحق هو ما عكف الرسول بولس على تأكيده في تعليمه العظيم في (رو ٥، ٦) ينبغى أن نقف على الحق ولا نسمح لاختبار شخصى مؤقت أن يتحدى الحق الإلهى المطلق. فقط عندما نفعل هذا سنجد الاختبار الشخصى يبدأ يتوافق مع الحق الإلهى. **فالاختبار الشخصى لا يمكن أن نعتمد عليه كدليل على صحة الحق الإلهى، الكلمة الموحى بها فقط هى الدليل على صحة الحق.**

في رو ٦ : ٥ - ١٤ يعرض الرسول الحق القائل بأن كل مؤمن هو متحد مع المسيح في انتصاره الكامل على الخطية والموت وإبليس، وكل مؤمن مسئول أن يقف بثبات على هذا الحق الراسخ الذى لا يتزعزع، الخطية وإبليس لا يستطيعان أن يسودا على شخص

ميت، الخطية لا تستطيع أن تستعبد شخصاً هو الآن «حى لله» بسبب اتحاده مع المسيح في قيامته، هذا الحق لا يمكن أن يسقط أو يتغير وينبغى أن نظل راسخين عليه بغض النظر عن اختبارنا الشخصى المتغير.

إبليس سوف يسعى بلا كلل لتحدى الحق، سوف يأتى بكل هجومه المزعج لكى يجعلك تعتقد أن الحق الإلهى لا ينطبق عليك أنت بالذات، إنه يظل يقول لك - من خلال اختبارك - أن الخطية قوية جداً وأنه يستطيع أن يسود على حياتك.

ما هو جواب بولس على مثل هذا الهجوم؟ يقول: «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا، إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكى تطيعوها في شهواته» (رو ٦: ١١، ١٢) ينبغى أن نقف على هذا الحق، مسئوليتنا أن نقبل الحق القائل أننا «أموات عن الخطية» و «أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا»، مسئوليتنا ألا نسمح للخطية بأن تملك في جسدنا، ونحن نسمح لها بأن تملك عندما نقبل الفكرة الجهنمية التى تقول «إن حق الله لا ينطبق علىّ ولا يصلح لحالتى أنا بالذات» أو عندما نهمل اجتماعنا بالمؤمنين وشركة الجسد الواحد تحت وطأة اختبار الفشل المتكرر. **إن انتصارنا يتحقق اختبارياً عندما نؤمن راسخين بحقيقة انتصارنا في ربنا يسوع المسيح.**

هناك رجاء وانتصار متاح حتى لأكثر المؤمنين انكساراً وهزيمة، الكنيسة في لاودكية كانت توضح هذه الحقيقة، لقد استسلمت هذه الكنيسة لخداع إبليس وسادها الفتور الروحى، فشعرت في نفسها بالكفاية والانتصار، كان لسان حالها «أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شيء»!! كانوا عمياناً بسبب كذب إبليس حتى إن الله خاطبهم في شخص ملاك كنيستهم أنه «الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان»!!

لكن، حتى لأناس مخدوعين إلى هذا الحد، يقدم الرب دعوة شاملة للانتفاع بنصرته!! يقول: «أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفّى بالنار لكى تستغنى، وثياباً بيضاً لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك، وكحّل عينيك بكحل لكى تبصر، إنى كل مَنْ أحبه أوبخه وأؤدبه، فكن غيوراً وتب، هنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى» (رؤ ٣: ١٨ - ٢٠)

هذا العرض العظيم مقدم لكل مؤمن مهما كان المدى الذى استطاع فيه إبليس أن يخدعه ويسيطر عليه، يمكنك - مهما كانت اختباراتك الماضية - أن تحصل على ذهب مصفى بالنار وثياب بيضاء، وكحل يخلصك من العمى الروحى، وكل هذه البركات تحصل عليها متى دخلت في شركة لصيقة وحميمة مع شخص المسيح على أساس راسخ من الحق الإلهى المعلن: **أن إبليس ليس منتصراً بل المسيح هو المنتصر، ونحن منتصرون فيه وبه.**



زوجة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي كانت تحضر بانتظام سلسلة من اجتماعاتنا عن «التقديس» وبدا عليها أنها مهتمة تماماً بالأمر، وفي أحد الاجتماعات أتت إليّ بعد الخدمة وقالت: «أخ برنجل، أرجو أن تسميه تكريساً وليس تقديساً، أعتقد أنه هكذا سيكون أكثر قبولاً» فأجبتها: «لكنى لا أقصد التكريس يا أختى، أنا أقصد التقديس، **والفرق بين التكريس والتقديس كالفرق بين الأرض والسماء، بين عمل الإنسان وعمل الله»!!**

خطأ هذه السيدة خطأ شائع، **لقد أرادت أن تجرّد الحياة الروحية من العنصر الـ «فوق طبيعي» وتعتمد فقط على امكانيات وأعمال الإنسان الطبيعي**، إنها «الموضة» في هذه الأيام أن تكون «مكرساً» وتتكلم كثيراً عن «التكريس»!! سيدات رقيقات يرتدين الحرير ويتحلين بالمجوهرات ويتزين بالفراء، ورجال متأنقون ذوو أيادى ناعمة متعطرون بالروائح، تسمعهم كثيراً اليوم يتحدثون بأصوات خفيضة وكلمات رقيقة عن ضرورة التكريس للرب!! ورغم أنى أشك كثيراً في أن مثل هؤلاء يفهمون معنى التكريس الحقيقى للرب إلا أنى أريد أن أناقش هذا الأمر الآن، كل ما أريده هو أن أرفع صوتى بتحذير عال قائلاً: **إن التكريس هو عمل الإنسان، وهو غير كاف لتطهير النفس أو لتمجيد الله أما التقديس فهو عمل الله الذى يُطهّر النفس ويمجد الله**، ودعونا ننظر إلى إيليا على جبل الكرمل لنرى الفرق بين التكريس والتقديس:

بنى إيليا المذبح على جبل الكرمل، قطّع ذبيحته ووضعها على المذبح، وتضرع إلى إلهه، **وهذا هو التكريس !!**

لكن أنبياء البعل فعلوا هذا أيضاً!! لقد بنوا مذبحهم وقطّعوا ذبائحهم وقضوا اليوم كله في تضرّع بكل حماس ولجاجة للبعل، بل ـ كما يبدو للعين البشرية ـ كان مالهم من حماس ولجاجة أكثر مما لإيليا!! **إذاً التكريس عمل إنسانى يستطيع حتى أنبياء البعل أن يفعلوا مثله !!**

ماذا فعل إيليا أكثر منهم؟ لاشىء، إلا أنه سكب عدة جرار من الماء على ذبيحته كتحد عظيم يعبّر عن إيمان عظيم، لقد آمن أن الله سيفعل شيئاً، لقد توقّع عمل الله وصلى لأجله، ولقد استجاب الله لتكريسه وشقّ السموات وسكب ناراً تلتهم ذبيحته وحجارة مذبحه وتلحس المياه المسكوبة، **وهذا هو التقديس !!**

ما هى القوة التى تمتلكها الحجارة الباردة والذبيحة الميتة لكى تمجد الله وتحوّل الأمة العاصية رجوعاً؟ لا قوة بالمرة، لكن عندما انسكبت النار الإلهية والتهمتهم عندئذ فقط سقط الشعب على وجوههم وقالوا: الرب هو الله الرب هو الله (١مل ١٨:٣٩).

ماذا تفعل المواهب الطبيعية والكلام المنمق في خلاص العالم وتمجيد الله؟ لاشىء بالمرة، حتى لو كرّسنا كل مواهبنا الطبيعية للرب تبقى الحاجة لحلول روح الله على هذه الذبيحة، لأن روح الله وحده عندما يسكن في الإنسان يستطيع أن يمجد الله ويخلّص العالم.

الله يريد أناساً مقدّسين، بالطبع ينبغى أن يكونوا مكرّسين لكى يستطيع الله أن يقدّسهم لكن ينبغى أن يفهموا أن تكريسهم وحده لا يكفى، لذلك بعد أن يقدموا أنفسهم بالكامل لله ينبغى أن يرفعوا أياديهم عن ذبيحتهم ويطلبوا نار الله لتقدسها، كما وضع إيليا ذبيحته على المذبح ثم رفع يديه عن الأمر تماماً وترك الله يعمل عمله ويشهد عن نفسه!!

ينبغى أن نقدم أنفسنا لله بالكامل، إرادتنا وأذهاننا وألسنتنا، أيادينا وأرجلنا، سمعتنا في وسط العالم وحتى في وسط المؤمنين، شكوكنا ومخاوفنا، ما نحبه وما لا نحبه، ميلنا الطبيعى للشكاية والرثاء للنفس والتذمر، كل شىء ينبغى أن يوضع أمام الله ثم ننتظر الله ونصرخ إليه بإيمان متضع ـ لكنه واثق ـ حتى يعمّدنا بالروح القدس والنار، لقد وعد أن يفعل هذا وسيفعل هذا، لكن الإنسان ينبغى أن يتوقع عمل الله ويطلبه ويصلى لأجله، وإن توانت الاستجابة ينتظرها!!

رجع أحد الجنود إلى بيته بعد أن حضر أحد اجتماعاتنا، ركع على ركبتيه وقال: «يارب، أنا لن أنهض من هنا حتى تملأنى بالروح القدس»!! ولقد رأى الله فيه إنساناً خاضعاً لعمله، إنساناً يريد الله أكثر مما يريد أى شىء آخر، ولهذا ملأه بالروح القدس هناك وفي التو!!

لكن أعرف جندياً آخر وجد أن «الرؤيا تتوانى» أحياناً!! لذلك انتظرها وقضى أوقاتاً طويلة لمدة ثلاثة أسابيع يصرخ إلى الله لكى يملأه بالروح القدس، لم ييأس بل تمسك بالله بإيمان مثابر، لم يتركه حتى يباركه، ولقد رأيت هذا الجندى بعد فترة وتعجبت من روعة نعمة الله فيه، لقد حل عليه حقاً روح الأنبياء!!

قال أحد أصدقائى مرة: «إن السماء كلها مُقدمة مجاناً للإيمان»!! لكن أين مَن يستطيع أن ينتظر الله بإيمان؟! فلنضع أنفسنا أمام إلهنا ونصرخ إليه بلجاجة لكى تنزل ناره المقدسة من السماء وتلتهم ذبيحة حياتنا، وعندئذ سنعرف معنى القداسة الحقيقية.



"مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح"
(٢ كو ١٠: ٥)

تفكير الإنسان هو أحد أهم منابع حياته، والإنسان الذى يتمتع بتفكير سليم يتمتع بالتالى بحياة سليمة مثمرة، أما إذا كان فكره ضيقاً ومشوشاً تكون حياته مرتبكة قليلة القيمة له وللآخرين.

كل واحد منا يحيا في عالمين مختلفين، الأول هو العالم المادى المحيط بنا من الخارج، والثانى هو عالمنا الخاص الذى صنعته أفكارنا عن العالم المحيط، فالعالم الخارجى لا يستطيع أن يؤثر فينا مباشرة بل هو يؤثر علينا من خلال أفكارنا، إن أسلوب تفكيرنا وتفاعلنا مع العالم الخارجى هو الذى يؤثر فينا وليس العالم الخارجى نفسه، أى إن العالم بالنسبة لنا ليس هو العالم المحيط بنا فعلاً بل ما نفتكره نحن عن هذا العالم!!

وطالما أن فكر الإنسان يكوّن عالمه الخاص الذى يعيش فيه فنحن إذاً لا نعيش جميعاً في نفس العالم، بل كل واحد منا يعيش في عالمه الخاص الذى صنعته أفكاره وأسلوب تفاعله مع أحداث العالم المحيط بنا، فربما يسير ثلاثة رجال جنباً إلي جنب إلا أنهم في الواقع يعيشون في ثلاثة عوالم مختلفة!! وإليك مثل لذلك:

تخيل أن ثلاثة رجال يسيرون داخل إحدى الغابات، أحدهم شاعر وأديب والثانى دارس للتاريخ الطبيعي والثالث تاجر أخشاب، وإذ يرى الثلاثة منظر الأشجار العتيقة الضخمة تتوارد على أذهانهم أفكار مختلفة كل الاختلاف: فكر الشاعر يقفل راجعاً عبر القرون إلى ذلك الزمن السحيق الذى كانت فيه هذه الشجرة الضخمة مجرد نبتة خضراء ضعيفة تبرز لتوها من الأرض الطينية، وتتوارد على ذهنه أسماء العظماء الذين كانوا في ذلك الحين يرتدون التيجان ويحكمون الامبراطوريات، آه.. أين هم الآن؟! كيف غادروا المشهد وطواهم النسيان ولم يعد أحد يذكرهم إلا نفر قليل من المهتمين بتاريخ تلك العصور الغابرة!! **إن منظر الأشجار العتيقة أثار في فكر الشاعر عالماً واسعاً مليئاً** بالذكريات والأحاسيس وعبق التاريخ.

أما دارس التاريخ الطبيعي فعالمه أضيق من عالم الشاعر وإن كان أكثر تفصيلاً، فتجده يصغى إلى تغريد خافت يكاد لا يسمعه أحد ويحاول أن يعرف نوع هذا الطائر المغرد، ثم فجأة ينحنى على جذع إحدى الأشجار ليفحص نوعاً من الطحالب التى تتكاثر

عليه، ثم يميز خدوشاً على لحاء إحدى الأشجار فيستنتج أن دباً عبر من هذا الطريق لتوه!! إن عالمه رحب مليىء بتفاصيل صغيرة لا يعيرها الآخرون أى انتباه.

أما تاجر الأخشاب فعالمه أضيق كثيراً من سابقيه، فمنظر الأشجار الضخمة لا يستثير فيه ذكريات تاريخية ولا حقائق علمية، إنه يفحص الأشجار بعينى التاجر، يقيس محيطها وارتفاعها وبحسبة سريعة يحسب كم ستدرُّ عليه من ربح إذا باعها في سوق الأخشاب، إن عالمه هو عالم التجارة الجامد الخالى من الأحاسيس والذكريات، إنه لا يستطيع أن يرى في هذه الأشجار إلا أخشابها، إنه محصور في عالم التجارة ولا يستطيع أن يرى أى شىء فيما وراء هذا العالم.

هل لاحظت كيف أن عالماً خارجياً واحداً قد تحول إلى ثلاثة عوالم داخلية مختلفة من خلال عملية التفكير الخاصة بثلاثة أفراد مختلفين؟ إن العالم الخارجى ما هو إلا المادة الخام، أما تأثير العالم على الإنسان فهو نتاج تناول ذهن كل واحد لهذه المادة الخام.

يهوذا الاسخريوطى ويوحنا الحبيب عاشا في نفس العالم الخارجى، لكن كم كان الفرق عظيماً بين فهم كل منهما لهذا العالم، ونفس الشىء يمكن أن يقال عن قايين وهابيل، عيسو ويعقوب، شاول وداود، من هذا نتعلم **أن الظروف لا تصنع إنساناً بل أسلوب تجاوب فكر الإنسان مع الظروف هو الذى يصنع الإنسان.**

وماذا عن فكر المؤمن؟ يقول بولس «ليكن فيكم هذا الفكر الذى في المسيح يسوع أيضاً» (فى ٢: ٥) إن فكر المؤمن ينبغى أن يكون متوافقاً مع فكر المسيح، الله يريدنا أن نفكر بنفس أسلوب تفكيره، وعندما يمتلىء المؤمن بفكر الله يكون تعامله مع العالم الخارجى هو نفس تعامل الله، لأنه يفكر في الأحداث والأشخاص بنفس تفكير الله، وتصبح كل ظروف الحياة بمثابة الرحيق الخام الذى يتحول في ذهن المؤمن إلى عسل شهى!!

لكن هذا لا يحدث بصورة ميكانيكية، فلكى يتم هذا العمل العظيم ينبغى أن يسود الله على أفكار شعبه، إذا أردنا أن نفكر أفكار الله فينبغى أن نتعلم كيف نُخضع فكرنا لطاعة المسيح، ينبغى أن نفكر في كل شيء حولنا على خلفية من فكر الله، المؤمن لا ينبغى أن يفكر في أى شىء مباشرة، أفكاره ينبغى أن تتجه أولاً إلي الله ومن خلال فكر الله يستطيع أن يفكر في أى شىء آخر، أن أفكاره مثل ملائكة السلم الذى رآه يعقوب في بيت إيل، تصعد إلى السماء أولاً ثم تنزل إلي الأرض، ويبقى الله على رأس السلم هدفاً ومسيطراً على كل أفكارنا. وهكذا يحيا المؤمن بفكره في عالم خاص يسوده الله حتى وإن ظل يحيا بجسده في عالم يسوده إبليس!!

حيث يكون سيدى

> «إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى» (يو ١٢، ٢٦)

ليتنى أكون خادمك... الذى يتبعك حيثما تمضى، حتى عندما تمضى... إلى الصليب!!

كان يسوع هو خادم يهوه الحقيقى، كان ينظر ما يعمله الآب ويتقدم ويعمله، لم يكن يعمل ما يريد بل ما يريده الآب، كان دائماً في المكان الذى يريده الآب أن يكون فيه، لم يختر وضعاً لنفسه بل ترك يد الآب تختار له وضعه، منذ أن هيأت له في الميلاد جسداً وحتى قدمت له الموت كأساً!! لذلك كانت دائماً مسرة الآب بيده تنجح، حتى عندما كانت مسرة الآب هى أن يسحقه بالحزن!!

والتلميذ الحقيقى ليسوع هو مَنْ يتعلم ليصبح مثل معلمه، خادماً حقيقياً لله، والخادم الحقيقى هو مَنْ يوجد حيث يكون سيده، و «حيث» هنا لا تعنى نفس المكان جغرافياً بل نفس الوضع روحياً، فإذا كان السيد في موضع العمل فينبغى أن نجد الخادم هناك عاملاً في توافق كامل مع سيده، وإذا كان السيد في موضع التألم فهناك ينبغى أن نجد الخادم يكمل في جسده نقائص شدائده لسيده، وإذا كان السيد في موضع الصبر والانتظار وطول الأناة فهناك أيضاً لابد أن نجد الخادم منتظراً بصبر وسكوت، وعندما يحين الوقت ويستعلن السيد في المجد فهناك سيظهر خادمه معه أيضاً في المجد.

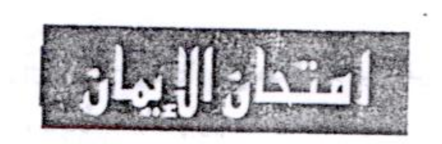
لكن الأمر ليس سهلاً، فلكى نكون حيث يكون سيدنا ينبغى أن يكون هناك توافق تام بين فكرنا وفكره، ودوافعنا ودوافعه، وهذا الأمر يحتاج إلى تدريب عميق للنفس حتى تتعلم أن تخضع أولاً بأول لمشيئة الله وتختار في كل موقف أن تأخذ موقف الله منه، وتبحث دائماً عن الموضع الذي يقف فيه السيد لكى تقف بجواره. **إن أى ابتعاد بين موقفنا وموقفه داخلياً سيجعل ابتعادنا عنه عملياً أمراً حتمياً!!**

هل تظن أن ابتعاد التلاميذ عن الرب وهروبهم كان وليد اللحظة في تلك الليلة الأخيرة؟ كلا، إن الابتعاد حدث منذ بدأ الرب يخطو أولى خطواته نحو الصليب، كان قد وطدَّ العزم أن يضع نفسه حتى الموت موت الصليب، وعندما أعلن هذا للتلاميذ نقرأ هذا القول: «فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب، لا يكون لك هذا» (مت ١٦: ٢٢) هل لاحظت هذا التعبير «أخذه إليه»؟ لم يرد بطرس أن يذهب إلى حيث يقف الرب بل أرادأن يأخذ الرب إلى حيث يقف هو!! **بينما المحبة الحقيقية والخدمة الحقيقية هى أن نذهب إلى الرب حيث يكون لا أن نجعله يأتى حيث نحب نحن أن نكون!!**

في هذا الموقف بدا جلياً أن موقف بطرس بعيد تماماً عن موقف الرب، فبينما يقف الرب موقف الطاعة للآب يقف بطرس موقف محبة الذات والخوف عليها، وعندما لم يستطع أن يذهب إلى الرب في أرض الطاعة وإنكار الذات أراد أن يأتى بالرب إلى أرض الأنانية ومحبة الذات!! من هنا بدأ الإنكار، من هنا بدأ الهروب، ولم يكن الهروب والإنكار الذى حدث بعدئذ إلا تحصيل حاصل، فالاختلاف في الموقف الداخلى جعل إنكار الرب عملياً أمراً حتمياً.

وهذا ما حدث فعلاً، فبينما كان الرب حزيناً إلى الموت وهو يعبر وادى قدرون وجدنا التلاميذ في «واد» آخر تماماً، يتجادلون في مَنْ فيهم الأعظم!! وعندما أرادهم أن يسهروا معه ساعة واحدة نراهم يتركونه وينامون!! لم يكن مطلوباً منهم أن يشاركوه عمل الفداء، فقد كان وحده ـ له المجد ـ المنوط به إتمام هذا العمل، لكن نفسه الإنسانية كانت تحتاج إلى محبتهم في وقت أبغضه الجميع، وتحتاج إلى وفائهم عندما أنكره الجميع، وتحتاج إلى شهادة حق منهم عندما تحاصره شهادات الزور، كانت نفس الرب حزينة وتحتاج إلى محبتهم وتعضيدهم لكنه لم يجد!! لأنهم في الواقع كانوا بعيداً عنه كل البعد، لم يكن خدامه موجودين في المكان الذى يوجد هو فيه!! وكان هو يعلم هذا ويتألم منه، وعندما انفصل عنهم نحو رمية حجر كان يعلن أنه يدخل إلى تلك الأرض بمفرده، أرض الفداء والصليب، وأن خدامه تركوه يمضى وحده وفضلوا أن يبقوا في أرض النعاس!! وعندما تخلَّى خدامه عن دورهم في تشجيعه وتعضيده ظهر له ملاك ليقويه، ولكنه بلاشك كان يفضّل أن يأتيه التشجيع من تلاميذه الذين أحبهم أكثر من نفسه!! وعندما تيقن أنهم لن يستطيعوا أن يتبعوه أكثر من هذا نراه يطلب من العسكر أن يتركوهم يذهبون، فهو لن يطلب منا ما لا نستطيعه ولن يحمِّلنا ما لا نطيقه!!

آه يا نفسى، ليتك تلتصقين بسيدى في كل موقف وتتبعينه في كل موضع حتى في مواضع الألم والرفض، ليتكِ لا تكونين إلا حيث يكون سيدى!!



كل ابن من أبناء الله يريد أن يمتلك إيماناً قوياً وفعّالاً ، وهذا الإيمان لا نُحصل عليه بالمصادفة بل بواسطة عمل الروح القدس فينا ، ولكي ينمو الإيمان ويتقوي ينبغي أن يجتاز امتحانات كثيرة .

لقد أظهر يسوع لتلاميذه قوته وسلطانه في برية بيت صيدا عندما أطعم أكثر من خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين ، ومن خلال هذه المعجزة آمن التلاميذ بأن يسوع هو الله الذي ظهر في الجسد ، الله الذي يحب الإنسان ويسدد احتياجاته ، وأدركوا ـ ليس نظرياً بل عملياً ـ ان كلمة يسوع لها السلطان .

وبعدما رأي يسوع إيمانهم هذا أراد أن يختبره لكي يظهر ما إذا كان إيماناً حياً أم ميتاً ، فطلب منهم أن يسبقوه إلي الضفة الأخري بالمركب ، لقد كان معتاداً أن يصحبهم ولكنه في هذه المرة ألزمهم أن يذهبوا وحدهم .

وعندما مضي التلاميذ صرف يسوع الجمع وصعد إلي الجبل منفرداً ليصلي ، لأجل ماذا كان يصلي يا تري ؟ ! أعتقد أنه كان يصلي لكي يجتاز التلاميذ الامتحان الذي كان مزمعاً أن يضعهم فيه ، وحتي يومنا هذا مازال يسوع يصلي لأجلنا لكي نجتاز الامتحانات التي تواجه إيماننا ، لأن الإيمان القوي هو نتيجة الامتحانات العسيرة .

ونحن عندما نجتاز الامتحان نشعر بالوحدة ، تماماً كما ألزم يسوع تلاميذه أن يمضوا وحدهم بدونه ، وقتها نشعر أن العالم كله قد تخلي عنا ونعاني من الألم والوحشة وليس هذا فقط بل نشعرأننا نجتاز ظلمة حالكة ، تماماً كما كان موقف التلاميذ وهم في وسط بحر الجليل وحولهم الليل الحالك ، ووقتها لا ندري ما يحمله االمستقبل لنا ، وتبدو حياتنا مهددة وغير مستقرة ، ويبدو أن إيماننا لا يقوي علي فعل أي شيء .

وأيضاً في أثناء امتحان الإيمان تهب الريح العاصفة ، حيث تبدو كل الظروف المحيطة غير مواتية ، رياح قوية تحمل أمواجاً عاتية من الفشل والمشاكل ، تماماً كما أحاطت الرياح والأمواج بالتلاميذ وهم في الهزيع الرابع .

والهزيع الرابع في لغتنا اليوم يعني الساعة الثانية صباحاً ، اللصوص عادة **يدخلون البيوت في هذه الساعة مستغلين الظلمة الشديدة ، ولذلك فهذه الساعة هي أصعب** ساعات اليوم بالنسبة للخفراء ، ورجال الأمن ، وأيضاً في هذه الساعة يخترق الجواسيس صفوف الأعداء ، لأن الناس عادة ينامون بعمق في هذا الوقت من الليل ، وفي هذه الساعة المظلمة امتحن يسوع إيمان تلاميذه !!

يسوع يأتي ماشياً فوق المياه

عندما يصل امتحان إيماننا إلي نقطة الذروة ، يأتي إلينا يسوع !! يقول الكتاب : « وفي الهزيع الرابع من الليل مضي إليهم يسوع ماشياً علي البحر » (مت ١٤ : ٢٥) عندما نواجه الرياح والأمواج نظن أن يسوع قد تركنا لكن الحقيقة أن الرياح والأمواج هي نفسها الطريق الذي يأتينا يسوع من خلاله !! ألم يقل الكتاب : « الرب بالطوفان جلس ويجلس الرب ملكاً إلي الأبد » (مز ٢٩ : ١٠) .

عندما نصادف أمواجاً ورياحاً في حياتنا ينبغي أن نتذكر أن يسوع يأتينا ماشياً فوق المياه ، يسوع هو معيننا الذي يسدد كل احتياجاتنا ، هل لديك مشاكل في حياتك؟ أرجوك أن تثق أن يسوع يأتيك فوق كل المشاكل ويمدُّ لك يد المعونة .

عندما رأي التلاميذ يسوع آتياً فوق المياه ارتعبوا ، وفي تلك الأيام القديمة كان البحارة يؤمنون بأنك إذا رأيت خيالاً في البحر فلابد أنك ستغرق وتموت ، ولذلك خاف التلاميذ عندما رأوا الرب ونسوا تماماً اختبارهم المجيد في برية بيت صيدا !!

كثيرون من فلاسفة ولاهوتي هذه الأيام لا يؤمنون بالمعجزات التي يصنعها يسوع ، وهم لا يحبون أن يكرزوا بأن يسوع هو الله صانع المعجزات ، إنهم مثل التلاميذ الذين ظنوا أن يسوع خيال !!

لكن الحقيقة هي أنه رغم كل تقدم حادث اليوم في العلوم والتكنولوچيا إلا أن الله مازال يصنع المعجزات التي تفوق فهم البشر ، وإذا نظرنا إلي حياة يسوع فسنجد حياة معجزية لا يستطيع كل فلاسفة وعلماء هذا الزمان أن يحاكوها .

يسوع أقام الموتي وأوجد الأشياء من العدم ، إنه ليس إله الماضي بل هو هو أمساً واليوم وإلي الأبد ، إنه حي الآن يسمع صلاتنا ويسدد احتياجاتنا ويصنع في حياتنا المعجزات ، وإن كان أحد ينكر معجزات يسوع فهو في الحقيقة ينكر وجود الله نفسه ، ومثل هذا لا ينال معونة الله في مواجهة المشاكل ، وإذا قامت عليه أمواج الحياة فلابد أن تدمر سفينته وتغرقه .

وفي يومنا هذا وفي وسط كنيسة الله الحية نستطيع أن نري المعجزات من كل نوع الخطاة يخلصون والمرضي يشفون والمأسورون بالأرواح الشريرة يتحررون ، وعندما تري أحداثاً مثل هذه فلا تتجاهلها كما لو كانت أشباحاً أو خيالات ، بل اقبلها كما هي في الحقيقة ، كمعجزات يجريها يسوع في وسط شعبه .

قال يسوع لتلاميذه « أنا هو لا تخافوا » ، وهي نفس الكلمات التي يقولها لك اليوم في وسط كل مشاكلك ، لا تنظر إلي الرياح والأمواج والظلمة الحالكة بل انظر إلي يسوع ، قد لا تستطيع أن تري ما أمامك لكن ما دمت مع يسوع فأنت في أمان ، وهو يري جيداً مستقبلك ويضمنه لك .



« يا سيد : إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء ، فقال : تعال »
(مت ١٤ : ٢٨ ، ٢٩)

بطرس فقط من بين الاثنى عشر رسولاً هو الذى تجاوب مع قول الرب : « تشجعوا ، أنا هو ، لا تخافوا » كان بطرس ينظر إلى يسوع صانع المعجزات في برية بيت صيدا ، الذى أطعم الآلاف من خمس خبزات وسمكتين ، كان ينظر إلى يسوع الغالب الذى يمشى فوق الماء ، أدرك بطرس أن يسوع هو الله صانع المعجزات محب البشر ، ولقد كان إيمانه إيجابياً ومثمراً ، فتجاوب مع الرب بسرعة قائلاً « مرنى أن آتى إليك » !!

المؤمنون الذين يثقون في أن يسوع يحبهم ويصنع المعجزات لأجلهم يستطيعون دائماً أن يتقدموا بجرأة إلى عرش النعمة ويثقوا في الرب تجاه كل مشكلة تواجههم ، رغم أنهم قد لا يرون أى سند مادى بعيونهم الطبيعية ، وقد لا يسمعون أى صوت بآذانهم الطبيعية ، وقد لا يستطيعون أن يلمسوا أى شىء محسوس بأيديهم ، إلا أنهم يعلمون يقيناً أنهم يتعاملون مع الله الحى كلى القدرة .

لقد احتمل يسوع الصليب لكى يحلُّ لنا مشاكل الخطية والمرض واللعنة والموت ، إنه يجرى بداخل الإنسان حتى يومنا هذا معجزات التجديد والشفاء والبركة وملء الروح القدس ، ويضع في القلب رجاء مجيئه الثانى .

بطرس يطلب كلمة من الرب

عندما آمن بطرس بالرب طلب منه كلمة سلطان يستطيع على أساسها أن يمارس إيمانه ، لذلك قال للرب « مرنى أن آتى إليك » .

لا ينبغى أن نمارس إيماناً أعمى ، يقول الكتاب « الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله » (رو ١٠ : ١٧) عندما طلب بطرس تصريحاً بأن يمارس إيمانه قال له يسوع : « تعال » ، وعندئذ حوّل بطرس عينيه عن الظروف المحيطة به وألقى رجاءه على كلمة يسوع .

لقد كان هناك اثنا عشر تلميذاً في السفينة ، لكن يسوع أمر بطرس فقط أن يأتى إليه ، ونفس الأمر يحدث معنا اليوم ، إن الله يستجيب فقط لهؤلاء الذين يصرخون إليه بإيمان ، ويعطى الحياة الأبدية لمن يطلبون منه الخلاص ، ويمنح الشفاء لأولئك الذين يثقون فيه

لأجل شفائهم ، ويغدق البركات المادية على الذين يطلبونها ، أما هؤلاء الذين لا يطلبون شيئاً لعدم إيمانهم فلن يأخذوا شيئاً ، وكلما كنا أكثر جرأة في طلبتنا فإن يسوع لابد أن يستجيب لإيماننا ويقول لكل منا : « تعالَ » .

وكيف يعطينا الرب كلمة السلطان ؟ من كلمة الله ، اقرأ الكتاب المقدس بنفسك من التكوين للرؤيا ، عندئذ تستطيع أن تجد وعود الله وتمارسها بالإيمان .

أيضاً يسوع يعطينا كلمته في أثناء صلاتنا ووجودنا أمامه ، ينبغى أن نطلب من الرب أن يعطينا كلمة خاصة منه ، وهو يستجيب ويعطينا كلمة نستطيع أن نستند عليها في ظروفنا الخاصة ، كلمة الله لا تتغير ولا تسقط أبداً ، السماء والأرض تزولان لكن كلمة الله لا تزول أبداً ، لذلك لا ينبغى أن ننظر إلى الظروف المعاكسة بل ينبغى أن نقف بثبات على أساس كلمة الله لنا .

دروس من الفشل

هناك أيضاً دروس نستطيع أن نتعلمها من فشل بطرس في مواصلة إيمانه ، لو فهمنا ما حدث مع بطرس نستطيع أن نستفيد منه ، عندما قال الرب لبطرس « تعالَ » لم ينظر بطرس للريح أو الأمواج ، لقد نظر فقط إلى يسوع ، لقد وقف بثبات على كلمة يسوع ، وعندئذ بدأ يخطو ببطء خارج السفينة وشرع يمشى على الماء ، وعندئذ حدث شيء عجيب : إن قدميه لم تغوصا في الماء ، كان يمشى على الماء ، كما يمشى على الأرض ، وطالما ظل ناظراً إلى يسوع ومستنداً على كلمته لم يعتره الخوف ، وهكذا سار فوق الماء !!

لكن الكتاب يخبرنا أن بطرس عندما رأى الريح شديدة خاف ، وعندئذ بدأ يغرق ، لقد حوّل عينيه عن يسوع ونظر إلى الريح والأمواج ، وبدأت الأفكار السلبية تهاجمه وامتلأ ذهنه بالشك والخوف ، وهكذا بدأت قدماه تغوصان في الماء .

عندما أمر الله نوحا أن يبنى الفلك طلب منه أن يصنع النافذة في سقف الفلك ، وكان هذا لفائدة نوح وأسرته ، لأنه بهذه الطريقة **لم يكن بمقدورهم أن ينظروا حولهم إلى الظروف المحيطة بل فقط ينظرون إلى أعلى** ، لقد عاش نوح وعائلته داخل الفلك أكثر من سنة كاملة لكنهم أبداً لم يروا ما يحدث حول الفلك من خراب ودمار ، كانوا يستطيعون فقط النظر إلى أعلى لكى يتذكروا دائماً وعود الله لهم فيتشجعوا ويثبت إيمانهم ، لو كان نوح وأسرته قد رأوا دمار العالم بالطوفان لانتابتهم المخاوف والشكوك ولربما لم يخرجوا من الفلك أحياء !!

الأفكار السلبية والشكوك تحمل دائماً الخوف والجزع ، لا نستطيع أن نثبّت أنظارنا على الله ونقف بثبات على كلمته عندما تكون أذهاننا مملوءة بالأفكار السلبية ، لكن عندما ننظر فقط للرب ونتمسك بكلمته عندئذ نستطيع أن نمارس الإيمان الغالب .

العالم المحيط بنا مملوء بالغش والخداع والتغيير المستمر أما الله فهو مملوء بالحق ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ، كل كلماته حق ، لذلك لا ينبغى أن ننظر للظروف المعاكسة ولا نعتمد على مشاعرنا المتغيرة ، بل ينبغى أن تؤسس إيمانك راسخاً على صخر الدهور ، وتنظر وتفكر وتصغى في الاتجاه الصحيح ، اتجاه الله .

لئلا نفقد الحق

« لذلك يجب أن ننتبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته (نفقده) » (عب ٢ : ١)

إن الحق الذى يُخلِّص النفس لا نجمعه كما نجمع الأصداف من على رمال الشاطىء، لكننا نحصل عليه كما نستخرج الذهب والفضة من باطن الأرض، بعد بحث شاق وحفر وتنقيب، وفي هذا يقول سليمان «إن دعوتَ المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم، إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز، فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله» (أم ٢:٣ـ٥).

الإنسان الذى يريد أن يستخرج الحق يلزمه أن يستخدم كل طاقاته، يحتاج إلى صلاة كثيرة وامتحان للنفس وإنكار للذات، ينبغى أن يصغى جيداً في داخل نفسه لصوت الله، يحتاج إلى اليقظة والانتباه لئلا يسقط في الخطية أو في النسيان، ينبغى أن يتأمل ليلاً ونهاراً في حق الله الذى حصل عليه.

الحصول على الحق الذى يُخلِّص النفس ليس أمراً سهلاً، رجال الله المملوءون بحق الله، الذين يسيرون كما يحق للحق الإلهى، لم يصيروا هكذا بدون مجهود، بل لقد بحثوا ونقَّبوا عن الحق، لقد أحبوا الحق واشتاقوا إليه أكثر من اشتياقهم لخبز أجسادهم، لقد خسروا الكثير لأجله، وعندما تعثَّروا وسقطوا لم ينطرحوا بل قاموا مرة أخرى واستأنفوا بحثهم عن الحق، وعندما هُزموا في جولة لم يستسلموا لليأس لكنهم بأكثر اهتمام وانتباه وتركيز جدَّدوا مجهوداتهم للوصول إلى الحق.

لم يحسبوا حياتهم ثمينة عندهم حتى يعرفوا الحق، إن حقوقهم وراحتهم وصيتهم وكل ما يقدمه العالم حسبوه نفاية في سعيهم إلى الحق، وعندما وصلوا إلى المرحلة التى أصبح فيها الحق هو أهم شيء في حياتهم عندئذ فقط وجدوا الحق!! الحق الذى يخلِّص النفس ويريح القلب ويجيب عن أسئلة الذهن، الحق الذى يمنح شركة مع الله وفرحاً لا يُنطق به وسلاماً لا يُنزع.

الحق يمكن أن يُفقَد

لكن كما أننا نتكلَّف مجهوداً لكى نجد الحق كذلك نحتاج إلى الانتباه لكى نحتفظ به. إذا لم نحافظ على الحق فإنه يتسرب من بين أيدينا، يقول الكتاب «اقتن الحق ولا تبعه» (أم ٢٣:٢٣) والحق عادة يُفقَد قليلاً قليلاً، كما يتسرب الماء المرتشح نقطة نقطة، إننا لا نفقد الحق كله مرة واحدة بل تدريجياً.

هوذا أخ كان مرة مملوءاً بالحق القائل «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم» فأحب أعداءه وصلى لأجلهم، ولكن قليلاً قليلاً أهمل هذا الحق فتسرب الحق من بين يديه، وبدل المحبة والصلاة لأجل أعدائه أصبح حاداً وفظاً.

وأخ آخر كان كثيراً ما يعطى أمواله للفقراء ولانتشار الإنجيل، كانت له الثقة في الله لأجل تسديد احتياجاته، وكان ممتلئاً بالحق حتى إن كل خوف زايله، كان مؤمناً بأنه إذا طلب أولاً ملكوت الله وبره فكل الأشياء الأخرى ستُزاد له (مت ٣٣:٦) ، فخدم الله بسرور وبكل قلبه، كان فرحاً وغير مهتم كالعصفور الذى يدفن رأسه الدقيق تحت جناحه الصغير وينام، ورغم أنه لا يعلم من أين سيأتيه طعام الإفطار إلا أنه يثق في الإله العظيم الذى يفتح يديه فيشبع كل حى ويعطيه طعامه في حينه (مز ١٤٥:١٥، ١٦).

لكن قليلاً قليلاً ترك حق الاعتماد على رعاية الله وأبوته يتسرب من بين يديه، وفقد حكمة العطاء، وهو الآن بخيل وطمَّاع وقلِق بشأن الغد.

وهناك أيضاً إنسان آخر كان ذات مرة دائم الصلاة، أحب الصلاة بكل قلبه، كانت الصلاة هى عملية التنفس ذاتها لحياته، لكن قليلاً قليلاً نسى الحق الذى يقول : «ينبغى أن يُصلَّى كل حين ولا يُمل» (لو ١:١٨) والصلاة الآن عمل بارد وميت بالنسبة له.

وآخر كان يذهب إلى كل اجتماع يمكن أن يجده، ولكنه بدأ يهمل الحق الذى يقول: «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً» (عب ٢٥:١٠) وهو الآن يفضِّل الذهاب إلى حديقة أو ناد عن الذهاب إلى اجتماع روحى.

وشخص آخر كان حاذياً رجليه باستعداد إنجيل السلام، وحيثما كان يقابل أى شخص كان يتكلم معه عن أخبار الله السارة، لكن شيئاً فشيئاً بدأ يعطى مجالاً لكلام السفاهة والهزل الذى لا يليق (أف ٤:٥) وفى النهاية نسى تماماً كلمات ربنا المبارك، «أقول لكم إن كل كلمة بطَّالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت ٣٦:١٢) ولم يعد يتذكر قول الكتاب: «ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُصلحاً بملح» (كو ٦:٤) وهكذا صار الآن قادراً على الكلام بحماس فى كل موضوع ماعدا الموضوعات الروحية، وشهادته القديمة العميقة الملتهبة التى طالما قرعت قلوب الناس وأيقظت غير المكترثين وشجَّعت القلوب الخائرة وقدمت المعونة للقديسين المجاهدين، لم يعد متبقياً منها الآن إلا بعض الجمل القليلة التى فقدت معناها بالنسبة له هو شخصياً، وبالتالى فقدت تأثيرها على الآخرين.

ماذا يفعل هؤلاء ؟

ينبغى أن يتذكروا من أين سقطوا ويتوبوا ويعملوا الأعمال الأولى من جديد، ينبغى أن يبحثوا عن الحق مرة أخرى كما يبحث الناس عن الذهب وينقِّبون عن الكنوز المخفية، وسوف يجدون الحق مرة أخرى لأن الله يجازى الذين يطلبونه (عب ٦:١١).

قد يكون عملاً شاقاً، ولكن هكذا البحث عن الذهب عمل شاق، وقد يكون عملاً بطيئاً ولكن هكذا يكون البحث عن الجواهر المخفية، لكنه على كل حال عمل مضمون النتائج لأن الرب يقول: «كل مَنْ يسأل يأخذ، ومَنْ يطلب يجد، ومَنْ يقرع يُفتح له» (لو ١٠:١١) كما أنه عمل ضرورى لأن مصير نفسك الأبدى يتوقف عليه.

أقسام الأرض السفلى

«وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل» (أف ٤ : ٩ ، ١٠)

ما أبعد المسافة بين «أقسام الأرض السفلى» و «فوق جميع السموات»!! بين أعماق ما وصل إليه الإنسان من خطية وظلمة وموت وما وصل إليه ابن الإنسان من مجد وقوة وسلطان. هذه المسافة الشاسعة قطعها سيدى عندما نزل إلى أقسام الأرض السفلى بالصليب ثم قام ليصعد فوق جميع السموات، مكرّساً لنا بجسده طريقاً حديثاً يصل بنا من عمق خطايانا إلى قمة المجد في السموات!!

كان نزول يسوع إلى أعماق الموت واللعنة ضرورة حتمية لكى يرتفع إلى مركزه رئيساً ومخلصاً للإنسان. فالإنسان في سقوطه نزل إلى أعماق سفلى من الظلمة والموت، وعلى مَنْ يريد أن يفدى الإنسان أن ينزل إليه في تلك الأعماق عينها، ويدفع هناك من حياته ثمن خطية الإنسان وثمن عودته إلى الله.

حياة الإنسان على الأرض لها أقسام مختلفة للعمق، منها الحياة الظاهرة التى تبدو لعيون الآخرين، وتلك الحياة يحرص الإنسان أن يُظهر فيها أفضل ما عنده من سلوكيات، وهناك تحت هذه الحياة يوجد قسم الحياة الباطنة التى لا يراها إلا صاحبها ويحرص ألا يراها غيره، وهى منطقة أفكار القلب وتصوراته الخفية والتى تدور كلها حول الذات مملوءة أنانية وشهوة وحسداً، وتحت هذه الحياة الباطنة توجد أقسام سفلى غارقة في الظلمات لا يراها أحد ولا حتى صاحبها!! لا يراها إلا الله، وهى روح الإنسان المائتة بالخطية والمملوءة رفضاً لله، هذه الروح قيدها إبليس بالخطية وأغلق عليها سجناً تحت قصاص من الله، ومن خلال تحكُّم إبليس في تلك الأعماق السفلى في الإنسان أصبح رئيساً وإلهاً للعالم كله.

وهكذا أصبح الإنسان يسلك في الظاهر مسلكاً جميلاً وتلتمع في ذهنه أفكار تبدو مشرقة بينما روحه ترسف في مرارة المرفظل الجميع - خوفاً من الموت - تحت العبودية.

كل الأنبياء، والمصلحين والمفكرين تعاملوا مع الأقسام السطحية للإنسان، حاولوا أن يعدّلوا من مسلكه ويحسّنوا من أفكاره، أما الأقسام السفلى الموغلة في الظلمة والموت فقد ظلت بعيدة عن متناول أى إنسان، **لأنه لا يوجد مَنْ يراها، وإذا رآها أحد فلا يوجد مَنْ يدفع** ثمن تحريرها لأن الكل شركاء في المديونية، إذ الجميع زاغوا وفسدوا معاً.

حتى جاء يسوع إلى العالم ليخلِّص ما قد هلك، أحب الإنسان بكل مناطق حياته وتعامل مع الأرض بكل أقسامها، تلك التى يراها الإنسان ويفهمها وتلك التى لا يراها ولا يفهمها، تعامل مع سلوك الإنسان فقدم لنا أعظم تعليم عن السلوك في العظة على الجبل، وتعامل مع خفايا الذات الباطنة فكان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان، ولكنه لم يتوقف هنا بل رأيناه ينزل إلى أعماق الإنسان المملوءة عظام أموات وكل نجاسة، فرأينا الأرواح النجسة تفك قيودها عن الإنسان وتخرج صارخة، وتنحل ربط المرض والضعف عن أرواح الناس وأجسادهم، وعرف الإنسان مدى خطيته وفساده وحاجته للميلاد الجديد.

وكان دخوله إلى تلك الأعماق دخولاً إلى المنطقة المحرمة، إلى مغاليق الهاوية التى ظلت كل الدهور مغلقة في وجه أى نور، كان دخولاً إلى جُحر الأفعى ومركز سيادة إبليس على العالم، لذلك كان طبيعياً أن يواجه يسوع كل ثورة الجحيم ضده، وبسلطان إبليس على أرواح الناس حرَّك أعماقهم لتقاوم الرب وتحاربه بشراسة فتجمعت ثورة هذه الأعماق وتجسَّدت في الصليب عندما سمَّروا يديه ورجليه.

وقد كان الثمن مزدوجاً، كان عليه أن يدفع لله ثمن خطية الإنسان حتى يُرضى عدالته، وكان عليه أن يقبل مقاومة قوات الجحيم لعمله، ولقد دفع سيدى الثمن المزدوج كاملاً، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس في يمين عرش الله، واحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه (عب ١٢: ٢، ٣) حتى تناثرت دماؤه على جدران السجن الداخلى الموجود في قلب كل إنسان، وتخضبت روح الإنسان بدماء الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه.

ولم تستطع كل قوى إبليس أن تمسك يسوع في القبر، لأن سلطان إبليس على الإنسان - سلطان الموت - ليس سلطاناً مطلقاً بل مرتبطاً بوجود الخطية في الإنسان، ولأن يسوع ليس فيه خطية لذلك لم يكن ممكناً أن يُمسَك من الموت (أع ٢: ٢٤) لذلك قام ناقضاً أوجاع الموت معلناً انتصاره على كل قوات الجحيم التى قيدت أرواح الناس وأذلتهم، وفاتحاً أعماق الإنسان لكى تنطلق روحه وتتمتع بالشركة مع الله، ثم صعد إلى العلاء، لكى يعد لنا مكاناً أبدياً في بيت الآب.

لقد نزل لأجلنا وصعد لأجلنا، نزل إلى أقسام الأرض السفلى ليدفع هناك ثمن تحريرنا، ثم صعد فوق جميع السموات كسابق لأجلنا ليصنع لنا مكاناً في رضا الله ومجده.

عزيزى القارىء، لا أستطيع أن أهنئك بعيد القيامة إلا إذا كنتَ قد قمتَ مع المسيح فعلاً، ولا يمكن أن تكون «بخير» في كل عام إلا إذا كانت روحك قد تحررت من أسر الخطية وتمتعت بالغفران وأصبح لها مكان في السماويات، هل نزل يسوع بنوره إلى أقسامك السفلى وفكَّ قيود روحك؟ هل رشَّ دمه الثمين على روحك المذنبة وأعطاك صك الغفران؟ هل بنوره رأيتَ نوراً فخرجتَ إلى حرية أبناء الله ودخلتَ في شركة حقيقية مع الله؟ هل أستطيع أن أقول لك: كل سنة وأنت طيب؟!



بصورة تدريجية غير معلنة نشأ في الوقت الأخير صليب جديد في أوساط المؤمنين!! إنه يشبه الصليب القديم لكنه مختلف عنه تماماً، الشبه بينهما سطحي أما الاختلاف فجذري.

من هذا الصليب الجديد انبثقت فلسفة جديدة للحياة المسيحية، ومن هذه الفلسفة الجديدة نشأت نظم جديدة، نظم في العبادة والخدمة والكرازة، هذه النظم الجديدة قد تستخدم لغة الكنيسة الأولى، لكن محتواها مختلف تماماً!!

الصليب القديم لم يكن يهادن العالم والجسد، كان الصليب هو نهاية المطاف للإنسان العتيق المتكبِّر، كان ينفِّذ حكم الموت في جسد الخطية، أما الصليب الجديد فهو يسمح للإنسان العتيق بالحياة!! الصليب الجديد ليس مضاداً لطبيعة الإنسان، إنه يحاول أن يسايرها ويتجاوب معها، إنه يسمح للدوافع القديمة بأن تحيا ولكن بصورة «أرقى» !! إذا كان الإنسان العتيق يريد أن يعيش لأجل سعادته فالصليب الجديد لا يمانع في هذا لكنه يقدم له وسائل للسعادة أكثر رقياً وسمواً!! فبدلاً من أن يتجرع كؤوس الخمر ويشاهد الأفلام القبيحة ويغني الأغاني المبتذلة، يدعوه الصليب الجديد إلى أن يشترك في فريق الترنيم بالكنيسة ومشاهدة الأفلام الدينية والاشتراك في حملات الكرازة!! **مازال الهدف هو المتعة الذاتية وإن كانت الوسائل قد أصبحت أرقى مستوى وأكثر عقلانية!!**

الصليب الجديد شجَّع على تقديم المسيحية بشكل جديد تماماً، الخدام لم يعودوا يطلبون من الناس رفضهم للحياة القديمة والتوبة عنها، إنهم لا يقدمون اختلافاً بل توافقاً مع حياة العالم، يريدون أن يجتذبوا اهتمام الناس بإظهار أن المسيحية لا تطلب منهم رفض متع العالم، بل إنها تقدم لهم نفس المتع لكن بصورة أرقى، نفس «السلعة» التي يقدمها العالم الخاطيء لكي يسعى إليه الناس أصبحنا نُظهر أن الإنجيل أيضاً يقدمها، مع الأخذ في الاعتبار أن «المُنتَج» الديني لاشك أفضل من نظيره الذي يقدمه العالم!!

الصليب الجديد لا يصلب جسد الخطية بل يحاول إعادة توجيهه، إنه يقوده إلى وسائل أنظف وأرقى للحياة مع الحفاظ على محبته لذاته، إنه يقول لمن يريد أن يحافظ على ذاته: «تعال إلى المسيح لكي يبارك لك في ذاتك» ولمن يريد أن يفتخر بنفسه يقول «تعال وافتخر في الرب» ولطالب الإثارة ومتعة المغامرة يقول «تعال واكتشف متعة اتباع المسيح»!! إن المسيحية أصبحت تساير رغبات الإنسان لكي تكون مقبولة منه.

قد يكون هناك قدر من الإخلاص وراء هذه الفلسفة، لكن هذا الإخلاص لا يمنع من كونها فلسفة باطلة عمياء، لأنها لا ترى المعنى الحقيقي للصليب.

الصليب القديم يحكم على الإنسان العتيق بالموت

الصليب القديم رمز للموت، يضع نهاية حازمة للإنسان العتيق، الإنسان في العصر الروماني عندما كان يحمل صليبه ويذهب لتنفيذ الحكم كان يودِّع أهله لأنه لن يعود ثانية أبداً. فالصليب لا يتفاهم مع أحد ولا يُعدِّل من أحد ولا يُبقي على أحد!! إن حكمه بالموت نهائي، إنه لا يحاول أن يتلطف مع صاحبه أو يكسب رضاه، إنه يضرب بشدة وبعنف، وعندما ينتهي من عمله يكون الإنسان أيضاً قد انتهى.

الإنسان العتيق تحت حكم الموت، ليس هناك استئناف للحكم ولا توجد وسيلة للهرب منه، الله لا يمكن أن يترك الإنسان العتيق يعيش مهما بدت أعماله للعين البشرية جميلة وبريئة. **الله يخلِّص الإنسان بأن يميته ثم يقيمه ثانية في جدة الحياة.**

الكرازة التي تسير بالتوازي بين طرق الله وطرق الإنسان كرازة باطلة في نظر الله ومؤذية لنفوس سامعيها، الإيمان بالمسيح لا يتوازى مع حياة العالم بل يتقاطع معها!! بقبولنا للمسيح نحن لا نرفع حياتنا القديمة إلى مستوى أرقى، بل إننا نضعها بالكامل على الصليب ونحكم عليها بالموت، إن حبة الحنطة ينبغي أن تسقط في الأرض وتموت.

الكارزون بالإنجيل ينبغي ألا يعتقدوا أن الكلام المعسول يمكن أن يصنع تآلفاً بين المسيح والعالم، إننا لسنا «دبلوماسيين» بل خداماً للإنجيل، ورسالتنا هي إعلان الصليب.

الله يمنح حياة، ولكنها ليست نفس الحياة القديمة بعد التعديل والتحسين، بل الحياة التي يمنحها الله هي حياة من موت، الحياة تقف دائماً في الجانب الآخر من الصليب، مَن يريد أن يصل إليها ينبغي أن يجتاز الصليب أولاً، ينبغي أن ينكر نفسه ويقبل حكم الله عليه، ينبغي أن يتوب ويرفض خطاياه وذاته الخاطئة، ويقر باستحقاقها للموت.

الحياة من الموت

ينبغي أن ننظر بثقة وببساطة الإيمان للمخلِّص المقام ومنه سننال الحياة والقداسة والقوة، الصليب الذي أنهى الحياة الأرضية ليسوع ينبغي أن يضع نهاية لحياة الخطية فينا، والقوة التي أقامت يسوع من بين الأموات تقيمنا الآن إلى حياة جديدة في المسيح.

ولمن يعترض على هذا الحق أو يعتبره تزمتاً ونظرة ضيقة للصليب دعني أقول: إن الله قد ختم هذا الحق بختم رضاه منذ أيام بولس وحتى الآن، هذا هو محتوى الكرازة التي منحت الحياة والقوة للعالم عبر القرون، كل المصلحين ورجال النهضات كرزوا بهذا الحق الخاص بالصليب ووضع الروح القدس ختم رضا الله على هذه الكرازة بآياته وعجائبه وقواته التي صنعها معهم، دعونا نكرز بالصليب القديم لكي نعود نختبر تلك البركة القديمة.

عبيد المحبة

«يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح» (يع ١:١)
«يهوذا عبد يسوع المسيح» (يه ١)
«سمعان بطرس عبد يسوع المسيح» (٢ بط ١:١)
«بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح» (فى ١:١)

هكذا كتب يعقوب ويهوذا وبطرس وبولس بجرأة وافتخار رغم أنهم عاشوا في عصر كان يعتبر العبودية والخدمة وصمة عار في جبين الإنسان، لكن هذا العصر بقيمه المزيفة وأمجاده الباطلة كان يضمحل ويموت، وعبيد المسيح أولئك كانوا يقفون على أعتاب عصر تصبح فيه الخدمة والعبودية علامة مميزة لأبناء الله تمنحهم المجد والكرامة.

لأنها في الواقع ليست عبودية القهر والاستبداد بل هى عبودية اختيارية، عبودية المحبة!! كانت العبودية هى الاختيار الإرادى لبولس وبطرس ويهوذا ويعقوب، لقد امتلكهم يسوع بمحبته،لقد جلسوا طويلاً عند أقدام أعظم عبد للمحبة عرفه التاريخ، ذاك الذى أتى لا ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين، لقد رأوه وهو يبذل نفسه للمساكين والمتعبين وثقيلى الأحمال، رأوه يعطى حياته للفاسدين والخطاة وغير الشاكرين، لقد رأوا حياته المباركة تنسكب لأجل الجميع بدافع المحبة، ولقد انكسرت قلوبهم وانسحقت أمام محبته العظيمة تلك، ومنذ ذلك الحين فصاعداً وجدوا أنفسهم عبيداً لمحبته، لم يعودوا أحراراً لكى يذهبوا أو يجيئوا كما يرغبون بل فقط كما يرغب هو، لأن رُبط المحبة ربطتهم.

وهذا الرباط أصبح بالنسبة لهم الحرية الكاملة!! أصبح فرحهم الوحيد أن يفعلوا ما يحسن في عينيه، حريتهم كانت كاملة وكلما فعلوا مرضاته ثبتوا أكثر في الحرية، لأن الحر فقط هو مَنْ يستطيع أن يفعل دائماً ما يسعده، وعبد المحبة لا يسعده إلا أن يفعل مرضاة سيده، هذا هو فرحه وإكليل ابتهاجه.

عبد المحبة يضع نفسه بالكامل في خدمة سيده: إن كله عين تراقب سيده، وكله آذان تصغى لسيده، ذهنه متيقظ ويداه جاهزتان وقدماه سريعتان في تتميم مشيئة سيده، سعادته الوحيدة هى أن يجلس عند قدمى السيد ويتطلع إلي وجهه المحبوب، أن يصغى إلى صوته ويسرع ليؤدى المهمة التى كلفه بها، أن يشاركه آلامه وأحزانه، أن ينتظر على بابه، أن يحافظ على مجده، أن يعظم اسمه ويمجّد شخصه، وإذا لزم الأمر أن يموت لأجله، وهو يعتبر كل هذا كمال الحرية.

«لأن نيرى هين وحملى خفيف» (مت ١١:٢٨) إن نيره هو نير المحبة وهو هين لأن المحبة تجعله هيناً، وحمله هو خدمة المحبة وهو خفيف لأن المحبة تجعله خفيفاً، بالنسبة للآخرين قد يبدو النير غير محتمل والحمل ثقيلاً، لكن بالنسبة لهؤلاء الذين دخلوا إلى أعماق السيد فهم يعتبرون نيره علامة للحرية وحمله أجنحة للنفس تحلق بها في الآفاق الرحيبة!!

عبد المحبة لا يخاف من سيده لأن المحبة تطرد الخوف إلى خارج، إن لسان حاله «ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت.. هوذا يقتلنى، لا أنتظر شيئاً»، إن سروره في مشيئة سيده، ولا يمكن أن يكون هناك خوف في مثل هذه العلاقة.

عبيد المحبة يتممون مشيئة الله كما في السماء، كذلك على الأرض، لأنه ماذا تستطيع الملائكة أن تفعله أكثر من أن تخدم الله بمثل هذه المحبة الملتهبة؟!

ضرورة الإعلان

إذا سألت كيف يمكن أن تصير عبداً للمحبة أجيبك: لابد أن يعلن الله ذاته لك، لو كانت محبتك له الآن فقيرة جداً وخالية من القوة فذلك لأنك لا تعرفه، لم تقترب منه بالدرجة الكافية لترى جماله.

بالنسبة لأهل العالم قد يبدو الرب غير جميل لأنهم لم يطلبوا أن يروه، دعه يُريك نفسه لكى تحبه، لقد رأى بولس مجده حتى عميت عيناه من الضياء، وبقية التلاميذ عاشوا معه وساروا بجواره، لقد أحبوه لأنهم عرفوه جيداً، ولهذا استطاعوا أن يتخذوا القرار بأن يصيروا له عبيداً، تماماً مثل موسى الذى اختار «أن يُذلَّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب ١١:٢٥، ٢٦)

عندما يعلن الرب ذاته لك ستعلم كم هو عظيم، وكيف أنه يتنازل كثيراً جداً عندما يطلب منا محبة قلوبنا الفقيرة، وسيكون عليك عندئذ أن تختار بين أن تضع حياتك بين يديه أو تضعها في أى مكان آخر، والاختيار ينبغى أن يكون كاملاً ونهائياً وبكل حرية.

وعندما تصير عبداً للمحبة ينبغى أن تتعلم كيف تنتظر السيد: لو صَمَتَ... انتظر، لو تكلم.. استمع، لو أمر.. اعمل، إن مشيئته مدونة في كلمته.. فتش الكتب، الهج فيها نهاراً وليلاً، خبىء كلمته في قلبك، لا تنسها..

خذ وقتاً كافياً لطلب وجهه، هل يمكن أن يكون هناك عبد مشغول لدرجة أنه لا يجد وقتاً لكى يعرف مشيئة سيده؟! كلا بكل تأكيد، ينبغى أن تأخذ الوقت، أن تُوجد الوقت، أن تصنع الوقت لطلب الرب، وهو سيوجد لك وسوف يعلن نفسه لك، وعندئذ ستعرف معنى عبودية المحبة.

الذين يحبون أنفسهم جداً

مئة وعشرون الفــا من المديانيين قاموا لمحاربــة اسرائيل فهب لصد الهجوم اثنان وثلاثون الف اسرائيلى (قض ٧:٦) لكن الله راى انه اذا هزم الاسرائيلى الواحد حوالى اربعــة مديانيين فسيكون هــذا مدعاة للافتخار بالذات ونسيان الله . وسيقول الواحد منهم « يدى خلصتنى » ، كما كان الرب يعلم أن هنـــاك الكثير من ذوى القلوب المرتجفة والركب المخلعــة يتحينون الفرصة لكى يهربوا من الحرب . لذلك قـــال لجدعون « ناد فى آذان الشعب قائلا من كان خائفا ومرتعدا فليرجع » فرجع من الشعب اثنان وعشرون الفا وبقى عشرة آلاف .

ومرة اخرى راى الرب أنه اذا هزم الاسرائيلى الواحد اثنى عشر مديانيا فسيكون هذا اكثر مدعاة للافتخار ونسيان الله . لذلك قال لجدعون « انزل بهم الى الماء فانقيهم لك .. كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب ، وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلاث مئة رجــل .. فقال الرب لجدعون بالثلاث مئة الرجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك . واما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد الى مكانه » .

هؤلاء الثلاث مئة هم الذين يستطيع الله أن يستخدمهم . ليس فقط لأنهم شجعان لكن بالأحرى لأنهم يعرفون كيف ينكرون انفسهم ، لم ينبطحوا على وجوههم ليتناولوا من الماء كما يشاءون لأنهم تعلموا أن يضبطوا أنفسهم فى كل شىء ويكبحوا جماح شهواتهم عندما يكونون فى وقت حرب وجهاد ، لذلك وقفوا بعيون مفتوحة على العدو وبيد تمسك بالسلاح وباليد الأخرى اغترفوا القليل من الماء ليرووا ظمأهم . رغم انهم كانوا عطشى مثل كل الباقين ، ورغم ان النهر كان يجرى عند أقدامهم غزيرا .

بقية الرجال لم يكونوا من ضمن الخائفين من الحرب لكنهم يريدون ان يشربوا الكثير من المـــاء قبل الذهاب للحرب ، ورغم ان العدو يتقدم نحوهم تراهم يتركون السلاح وينبطحون أرضا وينزلون برؤوسهم الى النهر لكى يبتلعوا اكبر قدر ممكن من المياه . انهم يحبون أنفسهم جدا ولا يستطيعون ان ينكروا أنفسهم حتى فى وقت الحرب . لذلك ارسلهم الله الى منازلهم شأنهم شأن بقية الخائفين . واكتفى بالثلاث مئة رجل وخاض بهم الحرب ضد كل جيش المديانيين وانتصر . حيث لا مجال للافتخار بقوة الانسان وحيث ينبغى أن يعود كل المجد لله .

هناك فى صفوف المؤمنين بعض الخائفين الذين لا يحتملون أى نوع من المقاومة أو الاضطهاد ، ويتجنبون خوض أية معركة روحية لأجل المسيح . ويتراجعون سريعا الى الصفوف الخلفية ويكتفون بالجلوس فى منازلهم ومراقبة الأحداث عن بعد ، لكن هناك أيضا كثيرين غير خائفين بل لعلهم يرغبون فى خوض اية معركة من اجل المسيح ، تجدهم يرنمون ويصلون دائما بصوت عال غير مبالين بالمقاومين ، وتراهم يجاهرون بشهادتهم عن المسيح أمام الجميع ، ولكنهم رغم كل هذا غير نافعين للسيد ، ولا يمكن أن يستخدمهم لاتمام عمله !! لماذا ؟ لانهم يحبون انفسهم جدا !! عندما يريدون شيئا فلابد ان يحصلوا عليه مهما كلفهم هـــذا من خسائر روحية ، لـــم يتعلموا أن ينكروا أنفسهم ويقمعوا مشيئات الجسد فى وقت الحرب .

اعرف كثيرين يعلمون ان تناول طعـــام دسم قبل الذهاب الى الاجتماع يسحب الدم من الراس الى المعدة مما يصيب الانسان بالتخمة وعدم التركيز والانتباه ويحرم النفس من ادراك الأمور الروحية العميقة والجهاد فى الصلاة ويمنع الخادم من خدمة النفوس باهتمام وتركيز . ورغم كل هذا هم يحبون انفسهم جدا لذلك يتناولون طعامهم الدسم المعتاد قبل الذهاب الى الاجتماع ، ضاربين عرض الحائط بكل مـــا يعرفونه من محاذير وبكل مـــا وراءهم من مسئوليات ، وهكذا يحزن روح الله ويفارق خدمتهم ، ليس لانهم ضعفاء أو جبناء بل فقط لانهم يحبون انفسهم جدا !!

واعرف كثيرين لا يسهرون ابدا فى صلوات طويلة امام الرب من اجل حياتهم وخدمتهم والنفوس المحيطة بهم . ليس لانهم ضعفاء صحيا بل فقط لانهم يحبون النوم جدا ، لذلك لا يستطيعون أن يجبروا انفسهم على السهر والصلاة !! هل تذكرون الرب وهو يصلى ويصارع فى بستان جثسيمانى ؟ لقد تركه التلاميذ وحيدا فى جهاده وناموا !! كم كان هـــذا قاسيا على نفس الرب حتى انه قال لهم « أهكذا ما قدرتم ان تسهروا معى ساعة واحدة ؟ ! » ونفس هذا العتاب يقوله الرب اليوم لكل المؤمنين الذين لا يسهرون معه لأنهم يحبون انفسهم جدا !!

ونحن نعرف كثيرين لا يصومون ابدا ليس لانهم ضعفاء بل لانهم يحبون **انفسهم جدا لدرجة انهم لا يستطيعون ان يمنعوها من الطعام الذى تشتهيه !!** لكننا نقرأ عن **دانيال انه صام ثلاثة اسابيع لم يتناول طعاما شهيا** ، وعكف على الصلاة كل الوقت المتاح له لكى يعرف مشيئة الله تجاه شعبه ، ونقرأ عن موسى وايليا والرب يسوع انهم صاموا حتى اربعين يوما من اجـــل عمل الله العظيم فى حياتهم ، **اذا كنا نريد أن نكون نافعين للسيد فلا يكفى عندئذ ان نكون شجعان بل ينبغى ان نتعلم كيف ننكر انفسنا فى وقت الجهاد . وأن نقمع الجسد ونستعبده لكى نتمم مشيئة الله على اكمل وجه .**



«وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما... لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ١٩، ٢٠)

ما أعظم الدرس الموجود في هذه الآيات الثمينة، فالرب يريد أن يعلّمنا أن **الوحدة بين المؤمنين باسمه تصنع مكاناً لحضوره في هذه الأرض**، الاتحاد المشار إليه بكلمتى «اتفق» و «اجتمع» يخلق مكاناً لسكنى الله في هذا العالم (أف ٢: ٢٢) وبسبب هذه الحقيقة تكون الوحدة بين المؤمنين هى أهم عامل في بنيان كنيسة المسيح.

كان كسر الإنسان للوحدة التى بينه وبين الله وبينه وبين البشر رفقائه هى الخطوة الأولى في ابتعاده عن الله، ولذلك تكون الوحدة مع الله ومع المؤمنين هى الخطوة الأولى أيضاً في طريق العودة الحقيقية لله.

طوبى لصانعى السلام

إن صانعى السلام مطوبون (مت ٥: ٩) هل تعرف لماذا؟ لأن مَنْ يصنع سلاماً بين الإخوة يصنع مكاناً لسكنى الله في وسطهم!! ومن الناحية الأخرى يقول الكتاب إن زارع الخصومات بين الإخوة هو مكرهة نفس الرب (أم ٦: ١٩). هل تعرف السبب؟ لأن مَنْ يصنع خصومة بين الإخوة يدمّر مسكن الله على الأرض ويُخرج الرب خارجاً!! لذلك يأمرنا الرسول بولس بأن نلاحظ الذين يصنعون الشقاقات والعثرات بيننا ونَعرِض عنهم (رو ١٦: ١٧).

أن تصنع سلاماً بين الإخوة وتأتى بالرب إلى الوسط فهذا هو أعظم عمل يمكن لإنسان أن يصنعه، وأن تزرع بينهم خصومة وتدمّر هيكل الله فهذا هو أشر عمل يمكن أن يصنعه إنسان أو شيطان.

وإذا كانت السماء هى كل مكان يسكن فيه الله، وإذا كانت الجحيم هى كل مكان لا يسكن فيه الله، فإننا نستطيع القول أن **الاتحاد بين المؤمنين يصنع سماءً والانقسام يخلق جحيماً**

هناك أمر بالبركة

عندما كان الرب على الأرض بالجسد لم يكن له أين يسند رأسه، لكن من حين إلى آخر كان أحدهم يفتح له بيته ويدعوه للإقامة فيه، وإن كان صاحب البيت يقصد أن يسدى للرب خدمة إلا أنه في الواقع المستفيد الأول، لأن الرب لا يدخل إلى مكان إلا ويملؤه بالبركة، لأن أمامه دائماً شبع سرور وفي يمينه نِعَمٌ إلى الأبد.

وبالمثل في يومنا هذا لا يجد الرب لنفسه مكاناً لسكناه بالروح، لكن إذا وُجدت جماعة صغيرة تتحد باسمه وتدعوه بنفس واحدة للسكنى في وسطهم فهم يسدون له خدمة عظيمة إذ يهيئون له موطئ قدم في هذا العالم الهالك، ومن الناحية الأخرى سيكونون هم أول المستفيدين من حضوره، إذ ستغمرهم البركات مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية إلى طرف الثياب، مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون، لأنه حيثما سكن الإخوة معاً فهناك أمر الرب بالبركة، حياة إلى الأبد (مز ١٣٣).

المسيح وليست الذات

ومع ذلك فإن اتحاد المؤمنين معاً بنفس واحدة ليس عملاً سهلاً، فالأمر يحتاج إلى جهاد لكى نحفظ وحدانية الروح برباط السلام (أف ٤: ٣) هل تعرف لماذا؟ لأن الذات الموجودة في كل واحد من المؤمنين تريد أن تكون هى الظاهرة والمسيطرة على الاجتماع، الذات تحب دائماً أن تكون «في الوسط»، في مكان الرب نفسه، تريد أن تحوز الاهتمام وتفرض نفسها على الجماعة، ولذلك عندما توجد الذات في فرد أو أكثر من جماعة المؤمنين المجتمعين معاً فلابد أن يكون هناك صراع وتشويش وانقسام، الكل يسعى للسيطرة ولفرض فكره على الجماعة، وهكذا لا يمكن أن يكون الرب في الوسط لأننا غير مجتمعين باسمه بل باسم أنفسنا، إن الاجتماع باسم الرب يعنى أن نجتمع لحسابه، لمجده، لتتميم مشيئته والخضوع لفكره، ولكن إذا تركنا الذات تسودنا فإنها تحوّل الاجتماع لحسابها، لمجدها، لتتميم مشيئتها والخضوع لفكرها.

إن الذات هى «ضد المسيح» في وسط المؤمنين، والله لا يسكن حيث تسكن الذات، وعندما يتكلم الرب عن اثنين أو ثلاثة مجتمعين باسمه فهذا ليس أمراً هيناً، إنه يعنى اثنين أو ثلاثة قرروا التخلى عن ذواتهم لحساب الرب، اثنين أو ثلاثة أنكروا أنفسهم لكى يستطيعوا أن يكونوا بنفس واحدة، اثنين أو ثلاثة جاهدوا حتى يحفظوا وحدانية الروح بينهم، اثنين أو ثلاثة تعلّموا أن لا يجتمعوا لحساب ذواتهم بل لحساب الرب وحده، باسمه ولمجده وحده، هؤلاء الاثنان أو الثلاثة فقط هم مكان سكنى الله على الأرض، طوبى لهم لأنهم سيتمتعون ببركته ويكونون سبب بركة للعالم أجمع.



«هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» (مت ١:٢٣)

الله دائما يتصرف بما يتفق مع صفاته، حيثما يوجد وكيفما يعمل لن تجد فيه تغييراً ولا ظل دوران، إلا أن عدم محدوديته اللامتناهية تجعله دائماً أبعد من كل معرفتنا وإدراكنا، فمعرفته المطلقة وحكمته الكاملة تجعله يتصرف بمنطق أبعد من حدود منطقنا البشرى، ولأجل هذا السبب لا نستطيع أن نتنبأ بأعمال الله مسبقاً، فهو دائماً يُدهشنا عندما يتحرك!! مهما كان اتساع أفق توقعاتنا فإن الله عندما يتحرك تجاهنا لابد أن يصيبنا بالذهول من قدرته على تخطى كل توقعاتنا، مما يجعل العقل ينحنى بخشوع معترفاً بمحدوديته المعيبة ويجعل النفس تنسبى في اعجاب بغنى الله الذى لا يستقصى.

لذلك فإن أحد الصفات التى تلازم أى علاقة حقيقية مع الله هى الاندهاش المستمر!! دائماً نكتشف أن الله أعظم مما نتصور وأكثر مجداً مما اعتقدنا!!

لكن نستدرك، فنقول أنه بمقياس آخر نستطيع أن نتنبأ بأعمال الله لأنه - كما قلنا - يعمل دائماً بما يتفق مع صفاته، ولأننا نعلم مثلاً أن الله محبة لذلك يمكننا أن نتنبأ بيقين أن المحبة ستكون جوهر كل عمل من أعماله، سواء في خلاص خاطىء تائب أو في تأديب مؤمن غير تائب!! وبالمثل نستطيع أن نتأكد أنه سيكون دائماً عادلاً وأميناً ورحيماً وحقاً.

ألم نسأل أنفسنا كثيراً عن كيف كان الله سيتصرف لو كان في مكاننا؟! ألم نُجرب أحياناً بأن الله لا يشعر بالصعوبة التى نشعر نحن بها عندما نحاول أن نحيا بالصواب في مثل هذا العالم الشرير؟! لكننا لسنا في حاجة لأن نسأل عن كيف سيتصرف الله لو كان في مكاننا **لأنه فعلاً كان في مكاننا!!** إنه سر التقوى أن الله ظهر في الجسد، لقد سُمى عمانوئيل الذى تفسيره **الله معنا!!**

عندما عاش يسوع على الأرض كان **إنساناً يتصرف مثل الله**، وبنفس الدرجة كان **إلهاً يتصرف مثل الإنسان!!** كان يسوع هو الله الذى يتصرف بما يتفق مع صفاته في أرض الإنسان ومن خلال إنسان!! **إننا نعلم كيف يتصرف الله في السماء لأننا رأيناه يتصرف على الأرض!!** وهذا ما قاله يسوع نفسه: «الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب» (يو ١٤:٩).

والآن أيضاً «الله معنا»

وإن كان الله قد عاش بيننا في أيام تجسد المسيح فإن هذا لم ينته بصعود الرب إلى السماء، بل هو مازال يعيش معنا إلى اليوم من خلال حلوله في المؤمنين، وحيثما يسكن في المؤمنين تجده يتصرف مع صفاته، تماماً كما فعل في أيام التجسد، وهذه ليست أوهاماً بل حقاً يظهر كل يوم في حياة المؤمنين الحقيقيين.

حقيقة أن الله بكل أقانيمه يسكن في طبيعة المؤمن الجديدة هى حقيقة مؤكدة وواضحة في الكتاب المقدس، فقد قيل عن الآب والابن «أجاب يسوع وقال له إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣) وعن أقنوم الروح القدس يقول: «روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤:١٧).

كل ما هو الله في طبيعته نراه في المسيح يسوع، هذا هو الإيمان الراسخ للكنيسة منذ أيام الرسل وحتى الآن، في أيام بدعة أريوس قاد الله آباء الكنيسة لكى يجمعوا تعاليم العهد الجديد في هذا الموضوع ويلخصوها في قانون للإيمان يقبله جميع المؤمنين كحق نهائى، وقالوا في هذا القانون «نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله هو إله وإنسان، إله من نفس جوهر أبيه، مولود منه قبل كل الدهور، وإنسان من نفس جوهر أمه، مولود منها في العالم. إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، وكما أن نفس الإنسان وجسده هما إنسان واحد هكذا الله والإنسان هما مسيح واحد».

والمسيح في قلب المؤمن الآن سيعمل نفس ما عمله في الجليل واليهودية، سلطانه الآن هو نفس سلطانه آنذاك، كان قدوساً، باراً، عطوفاً، وديعاً ومتواضعاً، وهو لم يتغير من وقتها وحتى الآن، إنه مازال نفسه حيثما وُجد، سواء كان عن يمين الله أو في قلب أصغر تلميذ حقيقى له على الأرض، كان صدوقاً، محباً، مصلياً، رقيقاً، عابداً، باذلاً لنفسه عندما كان يسير «بين الناس»، أليس طبيعياً أن نتوقع منه نفس السلوك عندما يسير الآن «في الناس»!!

لماذا إذاً يتصرف المؤمنون أحياناً بأسلوب مغاير لأسلوب المسيح؟! البعض يقولون إنه إذا فشل مؤمن في إظهار صفات المسيح الجميلة في حياته فهذا دليل على أنه مخادع وهو ليس مؤمناً حقيقياً على الاطلاق، لكن الأمور ليست بهذه البساطة، فالحقيقة أنه بينما يسكن المسيح في طبيعة المؤمن الجديدة إلا أنه يلقى مقاومة من طبيعة المؤمن القديمة، والكتاب يعلمنا في (رو ٦ - ٨) طريق الانتصار على هذه المقاومة، **لو منحنا يسوع سلطاناً كاملاً على حياتنا فسوف يحيا فينا تماماً كما عاش قديماً في اليهودية، ويكون بالحق الله معنا!!**

أهمية الانتظار

«وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب» (أع ١:٤)

أمر يسوع تلاميذه أن ينتظروا في أورشليم حتى ينالوا ملء الروح القدس، ولاشك أن هذا الانتظار كان ثقيلاً على نفوسهم ولكنه كان ضرورياً كما هو ضرورى لنا اليوم، فالانتظار أمام الله لأجل ملء الروح يصنع فينا أمرين :

١ ـ التفريغ

الانتظار يفرّغنا حتى يمكن أن نمتلىء!! قليلون هم الذين ينتظرون حتى يتفرغون ولذلك قليلون هم الذين يمتلئون بالروح، إن نفوسنا مملوءة بأمور كثيرة لا تليق بشخص الروح القدس، وينبغى أن نتفرُغ من هذه الأمور حتى نصبح مهيئين لقبول الملء، والانتظار هو المناخ المناسب لحدوث هذا التفريغ.لقد اجتمع التلاميذ معاً وانتظروا أمام الله وصلّوا وفحصوا قلوبهم، ونسوا خوفهم من الحكام الغاضبين الذين قتلوا سيدهم، نسوا غيرتهم المرة وطموحهم الأنانى وخلافاتهم الصبيانية، وتفرّغوا تماماً من محبة الذات والشعور بالبر الذاتى والثقة الباطلة في النفس، وصارت.قلوبهم متحدة مثل قلب رجل واحد، وقدموا طلبة واحدة تعبّر عن جوعهم الشديد لحضور الله، وعندئذ فقط انسكب عليهم حضور الله.

لقد أتى إليهم الله، أتى بالقوة والنار، أتى ليطهرهم وينظفهم ويقدسهم ليسكن في قلوبهم، أتى ليمنحهم صلابة في مواجهة أعدائهم، أتى ليجعلهم متضعين في قلب الانتصار، صبورين في وسط التجارب، ثابتين في مواجهة الاضطهادات، فرحين في وحدتهم وتخلى الناس عنهم، وغير خائفين في مواجهة الموت.

سكنى الروح فيهم جعلهم حكماء في ربح النفوس وملأهم بروح سيدهم، حتى أنهم قلبوا المسكونة رأساً على عقب، ورغم ذلك نراهم لم يأخذوا مجداً لأنفسهم بل أعطوا كل المجد لمَنْ يستحقه، لشخص الله له المجد.

ونحن أيضاً تحت التزام أن نمتلىء بالروح القدس (أف ٥:١٨) ولو لم نمتلىء في التو واللحظة فلا ينبغى أن نظن أن هذه البركة ليست لنا، ولا نسمح لعدم الإيمان أن يملأنا باتضاع كاذب يجعلنا نرضى بوضعنا الراهن ونعقد أيادينا ونكفُ عن الصراخ إلى الله، إن الله يسمح لنا بالانتظار لكى نصرخ إليه أكثر كثيراً ونفتش الكتب بحثاً عن مزيد من النور والحق، ونفحص قلوبنا ونُخضع نفوسنا ونأخذ جانب الله ضد ذواتنا الرديئة وضد إبليس وأعماله فينا، ولا نخور من الانتظار حتى نغتصب ملكوت السموات اغتصاباً.

والله يسمح لنا بالانتظار أيضاً لأجل :

٢ ـ زيادة إيماننا

الله يحب أن نتقدم إليه بجرأة الإيمان ونلحُ في طلبنا حتى يستجيب، ومثلما غضب اليشع من يوآش ملك إسرائيل عندما ضرب السهام ثلاث مرات ووقف بينما كان ينبغى أن يضرب خمس أو ست مرات (٢مل ١٣:١٩) هكذا يغضب الله إذا وجد إيماننا ضعيفاً يكف عن الطلب بسرعة وييأس بسهولة ويتحول بعيداً ويمضى بدون أن ينال البركة التى طلبها، ويشبع بسرعة بأقل قدر من التعزية بينما الله يريد أن يعطينا المعزى نفسه !!

المرأة الفينيقية التى أتت إلى يسوع لكى يشفى ابنتها هى مثال للإيمان الذى ينمو ويتقوى كلما تأنى الله في الاستجابة وسمح له بالانتظار، وهى تُخجّل معظم المؤمنين بجرأتها وإصرارها وثبات إيمانها، لم ترحل بدون أن تنال البركة التى طلبتها رغم أن يسوع في البداية لم يجبها بكلمة، وكثيراً ما يفعل معنا اليوم، نصلى ولا نجد إجابة، الله صامت!!

وعندما ألحّت المرأة في طلبها وجدنا يسوع يصدُّها بقوله إنه لم يأت لأمثالها بل لخراف بيت إسرائيل الضالة، ومثل هذه الكلمات القاسية تكون كافية لتجعل مؤمنى هذه الأيام يشتكون على الله ويجدّفون عليه!! لكن الأمر لم يكن هكذا مع هذه المرأة، لقد ارتقى إيمانها فوق هذه العقبة واستمرت في لجاجتها!!

وأخيراً يبدو لنا أن يسوع يضع ملحاً على جرح نفسها بقوله: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب»!! وعندئذ وصل إيمانها وتمسُّكها بالرب إلى ذروته فقالت: «نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها»، لقد قبلت أن تأخذ مكان الكلاب وتقبل نصيب الكلاب، وكان هذا اعترافاً منها بحالتها وحالة شعبها الأدبية المتردية.

وعندما زاد إيمانها وتنقّى حتى وصل إلى ذروته وجدنا يسوع يجيبها إلى طلبها :

«يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لكِ كما تريدين» (مت ١٥:٢٨).

لقد أراد يسوع أن يباركها منذ البداية ولكنه سمح لها بالانتظار لكى يتقوى إيمانها ويستخرج منها اعترافاً بحالة قلبها، وهكذا الرب يريد أن يملأنا اليوم ولكنه قد يسمح بالانتظار لكى يفرغنا ويزيد إيماننا.

انتظر الرب

« اما منتظرو الرب فيجددون قوة » (اش ٤٠:٣١).

لو كنت على فراش الموت وطلبوا منى أن أقول رسالة اخيرة لكل المؤمنين فى كل العالم وأن تكون الرسالة فى كلمتين فقط ، عندئذ سأقول : « انتظروا الرب » .

حينما توجهت اقابل مرتدين من كل الطوائف المسيحية ومن كل فئات المؤمنين ، الافا من المرتدين ، اخوة كانت لهم بدايات حسنة وشركة روحية مع الله لكنهم تراجعوا الى الوراء واصابهم الجمود والبرودة ، ان قلبى يتمزق حزنا عندما افكر فى كيف نحزن شخص الروح القدس بهذا الارتداد ، وكيف نجرح قلب يسوع المحب بفتور محبتنا ؟!

ولو سألنا هؤلاء المرتدين عن السبب وراء انحدارهم الى هذا الوضع السيىء فسنسمع منهم عن آلاف الاسباب المختلفة للارتداد ، لكن الحقيقة ان هناك سببا واحدا رئيسيا يقف وراء كل هذه الأسباب : انهم لم ينتظروا الرب .

لو انتظروا امام الرب عندما شن ابليس هجومه الشرس وزعزع ايمانهم وافقدهم محبتهم الأولى ؛ لجددوا قوتهم واستعادوا ايمانهم ومحبتهم وارتفعوا فوق اجنحة النسور وتغلبوا على هذا الهجوم الشرس ، واستطاعوا اختراق صفوف الأعداء بلا خوف ؛ بل اخترقوا تلك المشاكل بلا وجل .

ماذا يعنى انتظار الرب ؟

انتظار الرب لا يعنى تلك الصلاة التى تتلوها حال استيقاظك من النوم فى الصباح ، او قبلما تدلف الى فراشك فى المساء . **انتظار الرب هو تلك الصلاة التى تصل الى عرش النعمة وتلقى القبول وتعود اليك محملة بالبركات ، هو الصلاة التى تقرع وتظل تقرع حتى ينهض صاحب البيت ويعطيك سؤل قلبك .**

انتظار الرب هو الاقتراب الى الله . القرع على أبواب السماء ، التمسك بالوعود ، التحاجج مع القدير ؛ نسيان الذات والتحول عن كل اهتمامات الجسد ؛ التشبث بوعد الله حتى يتحقق . هذا الموقف الداخلى

المنتظر للرب يجعل كل كنوز السماء فى متناول يد الانسان الذى ينتظر الرب ، ويجعله مؤمنا ثابتا ينتصر حين ينكسر الآخرون ويثبت حين يرتدون.

فى بوتقة انتظار الرب تكتسب النفس حكمة الله وقوته حتى يتعجب منها الجميع ، هذه النفس التى انتظرت الرب وصبرت له سوف تثبت أمامه فى وقت الامتحان حينما يجزع الآخرون ويهرعون هنا وهناك طلبا **للمعونة من هذا الانسان او ذاك .**

انظر الى ما قاله المرنم عن اختباره الشخصى : « انتظارا انتظرت الرب فمال الى وسمع صراخى واصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة واقام على صخرة رجلى ، ثبت خطواتى وجعل فى فمى ترنيمة جديدة تسبيحة لالهنا ، كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب » (مز ٤٠:١ — ٣).

طريق النصرة

زرت احدى الكنائس الضعيفة التى يبدو ان كل شىء فيها يسير الى الوراء !! ورايت الكثيرين باردين وغير متحمسين ، لكن كانت هناك اخت واحدة يشع نور السعادة من وجهها وتخرج تسبيحة جميلة من فمها ، واخبرتنى هذه الاخت كيف انها عندما نظرت الى الآخرين وهم يتساقطون من حولها ورات عدم المبالاة تستشرى بين الجماعة ، شعرت باليأس والاحباط وفقدت حماسها وكادت رجلها تزل ، لكنها ذهبت الى الله وجلست امامه حتى اقترب منها وفتح عينيها لترى الهوة التى كادت تسقط فيها ، وهناك تعلمت ان واجبها الاول والأخير هو أن تتبع يسوع لا ان تنظر الى الآخرين ، ان تسير امام الهها بقلب كامل ، وأن تشق طريقها اليه وسط كل الارتداد المحيط بها .

عندئذ اعترفت بما أراها الله ؛ اعترفت انها كانت على وشك الانضمام لجماعة المرتدين بسبب انها نظرت اليهم بدلا من أن تنظر الى يسوع ، اعترفت بهذا وانكسرت أمام الله وجددت عهودها حتى ملأ الفرح قلبها ، ووضع الله مخافته فى داخلها وملأها بمجد محضره .

واكدت لى انها مازالت ترتعد كلما تذكرت الخطر الذى كانت معرضة له ، وان سبب نصرتها الوحيد هو انتظارها أمام الله اوقاتا طويلة فى سكون الليل ، وهى الآن تمتلىء بثقة الرجاء ويقين الايمان ان يقيم الله من وسط هذه الجماعة عينها عشرة آلاف جندى للمسيح !!.

يقول داود : « انما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى » (مز ٦٢:٥)

ومرة أخرى يقول « انتظرتك يارب انتظرت نفسى وبكلامه رجـوت ، نفسى تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح أكثر من المراقبين الصبح » (مز ١٣٠: ٦،٥) وفى موضع آخر يرسل لك عزيزى القارىء هذه النصيحة :« انتظر الرب . ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب » (مز ٢٧ :١٤) .

ان سر الانتصار يكمن فى موقف النفس تجاه الله . النفس التى تنتظر الله وتصبر له ترتبط دائما بالنجاح ؛ لا يمكن أن تفشل أبدا . قد تبدو للبعض لأول وهلة انك فاشل ؛ لكن فى نهاية الوقت سيرون انك كنت ناجحا طوال الوقت لانك كنت فى انتظار أمام الله ؛ وكان الله يصنع منك ــ رغم كل المظاهر المحيطة ــ رجلا ناجحا .

وضع يسوع طريق النصرة فى هذه الكلمات « **اما انت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية** » (مت ٦:٦).

انتظر الرب يا أخى ؛ واعلم ان الفشل الروحى يبدأ من المخدع المهجور وانتظار الرب حتى نستلىء بحكمته ونكتسى بقوته ونشتعل بنيران محبته .

فخرى كرم